مجلة جامعة الملك سعود، م ١٢، الآداب (١)، ص ص ١٤١ـ١٨٦ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

محاولة العمري لإنشاء إمارة عربية في السودان في القرن الثالث الهجري

صادق أحمد داود جودة

أستاذ مشارك، قسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم،
جامعة عمان الأهلية، عمان، الأردن

(قدم للنشر بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٤١٧هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٤١٨هـ)

ملخص البحث. يعالج هذا البحث جهود شخصية طموحة مغامرة من الشخصيات الإسلامية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. والشخصية المعنية هي أبو عبد الرحمن، عبد الله ابن عبد الحميد العمري، الذي خرج من مصر، أيام أحمد بن طولون، إلى وادي العلاقي من أرض البجة، حيث يكثر معدن التبر هناك. وكانت قبائل ربيعة، وجهينة، ومضر، قد سكنت تلك الجهات منذ ما قبل الإسلام، وذلك لأهمية المنطقة وكثرة ما بها من التبر والزمرد.

سار أبو عبد الرحمن العمري بأتباعه من مصر إلى أرض العلاقي، ولقي مقاومة من البجة، ومن القبائل العربية، واضطر أن يدخل مع جيرانهم النوبيين في حرب لا هوادة فيها، وقد حقق الانتصارات أول الأمر، غير أنه هزم أخيرا بسبب تخاذل رجاله في اللقاء، فعاد إلى جهات أسوان، حيث دخل في حرب مع جيش ابن طولون، بقيادة شعبة بن حركام وسجل عليه النصر. ثم عاد إلى أرض العلاقي، غير أنه لقي مقاومة شرسة من القبائل العربية، الأمر الذي حال بينه وبين إقامة إمارة قوية

له ، بل وخسر حياته باغتياله على يد محمد بن هارون ، زعيم مضر ، وهكذا انتهت حياة هذا المغامر ، عام ٢٥٩هـ/ ٨٦٣م .

تمهيد

سكنت قبائل البجة الخامية ، [١] المنطقة الممتدة ما بين النيل والبحر الأحمر ، شرق بلاد النوبة جنوب مصر . [٢] وكانت منطقة حوض النيل من مصر شمالاً إلى مدينة الخرطوم جنوبا ، تدين بالنصرانية أيام الفتح الإسلامي الأول ، وكانت تشغلها مصر شمالاً ، وبلاد

---

(١) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* (بيروت : دار صادر ، د . ت .) ، ١ : ١٩٢ ؛ ابن حوقل النصيبي ، *كتاب صورة الأرض* (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٢م) ، ٥٥ ؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* ، نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية (القاهرة : وزارة الثقـــافة ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) ، ٥ : ٢٤٧ ؛ Yusuf Fadl Hassan , *The Arabs and the Sudan* , 3rd. ed. (Khartoum: Khartoum University Press, 1973) , 2 , 3 .

(٢) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٥ ؛ أبو الحسن علي المسعودي ، *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ، ٢ : ٢٤ ، وذكر أن أصل البجة من ولد كوش بن كنعان بن حام بن نوح ؛ أبو بكر أحمد بن الفقيه الهمذاني ، *مختصر كتاب البلدان* (١٣٠٢هـ ، طبعة ، بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .) ، ٧٨ ؛ أبو العباس تقي الدين أحمد المقريزي ، *كتاب الخطط* (بيروت : دار صادر ، د . ت .) ، ١٩٤ ؛ بطرس البستاني ، *دائرة معارف البستاني* (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م ؛ طبعة مصورة ، بيروت : دار الثقافة ، د . ت) ، ٥ : ١٩٦ ؛ الشاطر بصيلي عبد الجليل ، *تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي* (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى لرعاية الشؤون الإدارية والعلوم الاجتماعية ، ١٩٧٢م) ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ؛ نعوم شقير ، *جغرافية وتاريخ السودان* (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٧م) ، ١ : ٥٨ ، وذكر نعوم شقير أن البجة هم من بقايا الشعوب التي تألفت منها أثيوبيا القديمة ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 2, 9; H. A. Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan* (London: Frank Cass, 1972), 1:35.

النوبة (نوباتيا) جنوبا، تليها مملكة مقرة ، ثم مملكة علوة النوبيتان . [٣]

ذكر اليعقوبي [٤] أن البجة ممالك كثيرة ، وقبائل شتى ، وأشاد الإصطخري [٥] بأهمية بلادهم ، وبخاصة منطقة العلاقي ، حيث يكثر التبر ، والزمرد ، وغيرها من المعادن الثمينة . وذكر المسعودي [٦] معادن البجة واتصالاتهم ببلاد النوبة . وذكرهم ابن الفقيه الهمذاني [٧] كذلك وأضاف بأنهم وثنيون . بينما ذكرهم القلقشندي [٨] فيما نقله عن ابن سعيد ، بأن فيهم الوثني ، وفيهم المسلم ، وفيهم النصراني ، وذكر أن قاعدتهم في زمنه مدينة سواكن الساحلية .

وعدد الأنصاري الدمشقي [٩] أنواع الزمرد (الزبرجد ، الزبرج) في المنطقة فقال : أشهرها الذبابي الأخضر الأصلي ، ويكثر في أرض البجة . وكذلك أدلى العمري [١٠]

---

(٣) اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، ١ : ١٩١ ، وذكر مملكتين للنوبة ، مقرة شرق النيل وغربه ، وعلوة ؛ حسين مؤنس ، *الإسلام الفاتح* ، سلسلة دعوة الحق ، ١ ، ٤ (مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠١هـ) ، ١٦٦ ، ١٦٨ ؛ وذكر أن النوبة بعد حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، أصبحت امتدادًا حضاريا وتجاريا وحليفا دائما لمصر ؛ عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٨٤ - ٨٥ .

(٤) اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، ١ : ١٩٢ - ١٩٣ ، وعدد ممالك البجا الخمس : نقيس ، وبقلين ، وبازين ، وجارين ، وقطعة ؛ Hassan , *The Arabs and the Sudan* , 10 , 11 .

(٥) أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ، الإصطخري ، *المسالك والممالك* ، تحقيق محمد جابر الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ، ٤٢ .

(٦) المسعودي ، *مروج الذهب ومعادن الجوهر* ، ٢ : ٨١ ؛ أبو الحسن علي المسعودي ، *أخبار الزمان* ، ٥ (بيروت : دار الأندلس ، ١٩٨٣م) ، ٩٠ .

(٧) الهمذاني ، *مختصر كتاب البلدان* ، ٧٨ .

(٨) القلقشندي ، *صبح الأعشى* ، ٥ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٩) شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري ، *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر* (١٩٢٣م ؛ نسخة مصورة ، بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .) ، ٩٧ .

(١٠) أبو العباس ، شهاب الدين أحمد العمري ، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* ، دراسة وتحقيق دوروثيا كرافولسكي (بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) ، ٧٨ - ٧٩ .

بدلوه هنا فقال : والزمرد لا نظير له في أقطار الأرض ، وحسب مصر فخرا بما تفردت به ، وذلك لتنفذها في أرض البجة في أيامه ، وأكد أن المسافة بين قوص في أرض مصر ، ومعدن الزمرد في بلاد البجة مسيرة ثمانية أيام . وذكر أم البجة ينزلون حول المعدن لحراسته واستخراجه ، وأنه يوجد في صدر مغارة طويلة ، في حجر أبيض ، والحجر ثلاثة أنواع : كافوري ، وفضي ، وحروي ، ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد ، وهو كالعروق ويستخرج الزمرد طوال العام ما دام يوجد من يعمل به . وفي مناجمه جماعة تلاحظ أحوال المشتغلين ، ويجري تفتيشهم بدقة عند الانصراف ، لئلا يتمكنوا من سرقة شيء منه .

وذكر ابن جبير [١١] أن عيذاب ميناء بحري في منطقة البجة ، يعد فرضة الحجاج ، إلا أن البجة يحتالون على الحجاج ويسلبون ما معهم ، وذكر ابن بطوطة [١٢] أن البجة سود الألوان ، يلتحفون بملاحف صفراء ، أو يشدون على رؤوسهم العصائب . وأكد أبو الفدا [١٣] أنهم من السودان من ولد حام بن نوح ، وأنهم يعبدون الأوثان .

ولعل أجمل وصف للبجة وطريقة معيشتهم وصفاتهم وعاداتهم ، ما قدمه لنا ابن حوقل النصيبي . [١٤] صاحب *صورة الأرض* ، حيث قال : أسلم البجة على يد عبد الله ابن سعد ، لما قدم وفتح أسوان والصعيد ، « إسلام تكليف ، وضبطوا بعض شرائط

---

(١١) أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني ، ابن جبير ، *رحلة ابن جبير* (بيروت : دار بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ٤٦ - ٤٨ .

(١٢) محمد بن عبد الله اللوائي الطنجي المعروف بابن بطوطة ، *رحلة ابن بطوطة* (القاهرة ، بيروت : دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، د . ت .) ، ٤٢ - ٤٣ .

(١٣) عماد الدين إسماعيل بن محمد ، أبو الفدا ، *تقويم البلدان* (١٨٤٠م ؛ نسخة مصورة ، بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .) ، ١٥٣ ؛ عماد الدين إسماعيل بن محمد ، أبو الفدا ، *المختصر في أخبار البشر* (بيروت : دار المعرفة ، د . ت) ، ١ : ٩٦ .

(١٤) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ص ٥٥ ؛ يوسف فضل حسن ، *دراسات في تاريخ السودان* (الخرطوم : دار التأليف والترجمة والنشر ، دار الطباعة ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٥م) ، ١ : ٥٤ ؛ Hassan , *The Arabs and the Sudan*, 11 .

الإسلام . . . وفيهم كرم وسماحة في إطعام الطعام ، فسامحهم في الأخذ عليهم ، وهم بادية أغنام ، متوغلون في الجبال والآجام . » وقد نقل المقريزي [١٥] عن ابن حوقل الشيء الكثير في هذا السبيل ، وأصبح مرجعا للمحدثين أمثال البستاني [١٦] الذي استفاد منه كثيرا . وأما من اهتم بتاريخ السودان من المجدثين فقد ألقوا الضوء على أخبار البجة وأقسامهم ، وأعمالهم واتصالاتهم ، ومنهم : الشاطر بصيلي عبد الجليل ، [١٧] ونعوم شقير ، [١٨] ومكي شبيكة ، [١٩] وعطية القوصي ، [٢٠] ويوسف فضل حسن ، [٢١] وغيرهم ؛ هذا بالإضافة إلى ما ورد في *دائرة المعارف الإسلامية* . [٢٢]

ويهمنا هنا أن نقول إن من عادة البجة أنهم يورثون ابن البنت ، أو الأخت ، فهي أقدر على إثبات البنوة من الرجل ، فالابن ابنها ، مهما كانت الظروف والملابسات . [٢٣]

---

(١٥) المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٤ وما بعدها .

(١٦) البستاني ، *دائرة المعارف* ، ٥ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(١٧) عبد الجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ١٤٥ وما بعدها .

(١٨) شقير ، *جغرافية وتاريخ السودان* ، ٥٨ وما بعدها .

(١٩) مكي شبيكة ، *السودان عبر القرون* (بيروت : دار الثقافة ، د . ت .) ، ٣١ وما بعدها .

(٢٠) عطية القوصي ، *تاريخ مملكة الكنوز الإسلامية* ، ط ٢ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م) ، ٢٥ وما بعدها ؛ يوسف فضل حسن ، *مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي* (القاهرة : معهد البحوث الإسلامية والدراسات العربية ، ١٩٧١م) ، ١٣ وما بعدها ؛ فتحي غيث ، *الإسلام والحبشة عبر التاريخ* (القاهرة : شركة الطباعة الفنية ، د . ت) ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٢١) Hassan. *The Arabs and the Sudan*. 2. 3. 4.

(٢٢) تش ، بيكر ، « البجة ، » *دائرة المعارف الإسلامية* (القاهرة : محمد ثابت الفندي وآخرون ، د . ت) ، ٣ : ٣٦١ - ٣٦٢ ؛ ر . هارتمان ، « البشارية ، » *دائرة المعارف الإسلامية* (القاهرة : محمد ثابت الفندي وآخرون ، د . ت .) ، ٣ : ٦٥١ ، ٦٥٢ .

(٢٣) عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني ، *كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل* ، المكتبة السودانية العربية ، تحقيق مصطفى مسعد (القاهرة : جامعة القاهرة بالخرطوم ، ١٩٧٢م) ، ١٠٥ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٤ ؛ البستاني ، *دائرة معارف البستاني* ، ٥ : ١٩٦ .

وكان لشراستهم ، منذ القدم ، أن الفراعنة ومن بعدهم البطالمة ، والرومان ، قد عملوا على كسب ودهم وإرضائهم . (٢٤) وعاش البجة حياة البداوة ، واشتهروا بحسن الضيافة ، وكانوا لشراستهم يقطعون أثداء الرجال والنساء . (٢٥) وذكرت المصادر المتأخرة أن منهم المسلم ومنهم النصراني ، ومعظمهم وثني ، (٢٦) وبخاصة الداخلون منهم ضمن مملكة علوة النوبية النصرانية ، الذين لا يدينون بدين ، بل يخضعون لكهانهم ، وهم أكثر طوائف البجة شرا وجبنا . (٢٧)

اتصال العرب بالبجة

اتصل العرب بالبجـــة وبمنطقتهم قبل الإســلام وبعده ، (٢٨) إلا أن الأثر الواضح

---

(٢٤) الأسواني ، *أخبار النوبة* ، ١٠٨ ، ١٠٩ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٥ ؛ البستاني ، *دائرة معارف البستاني* ، ٥ : ١٩٧ .

(٢٥) الأسواني ، *أخبار النوبة* ، ١٠٦ ، ١٠٨ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٤ ، ١٩٥ ؛ البستاني ، *دائرة معارف البستاني* ، ٥ : ١٩٧ .

(٢٦) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٥ وما بعدها ؛ ابن الفقيه الهمذاني ، *مختصر كتاب البلدان* ، ٧٨ ؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ، *كتاب البلدان* ، *بذيل الأعلاق النفيسة* لابن رستة (لايدن : مطبعة بريل ، ١٩٨١م) ، ٧ : ٣٣٦ - ٣٣٧ ؛ المسعودي ، *مروج الذهب* ، ٢ : ١٨ ؛ وذكر المسعودي أن الحدارب هم مسلمو البجة وغيرهم كفار ؛ ناصر خسرو ، *سفرنامه* ، ترجمة أحمد خالد البدلي (الرياض : جامعة الملك سعود ، عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٨٣م) ، ١٣١ - ١٣٢ . وذكر أن منطقة البجة على يمين عيذاب وأن البجة متوحشون ممعنون في البداوة ، بعيدون عن العمران ولا يعترفون بأي دين أو ملة .

(٢٧) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٦١ ، ٦٢ ؛ البستاني ، *دائرة معارف البستاني* ، ٥ : ١٩٨ .

(٢٨) أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادي البلاذري ، فتوح البلدان ، تعليق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ٢٣١ ؛ اليعقوبي ، *كتاب البلدان* ، ٣٣٦ ، وذكر أن مدينة الزنافج تدعى بقلين ، وتبعد ٢٥ مرحلة من أرض المعدن في العلاقي ؛ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم ، *فتوح مصر وأخبارها* (لايدن : مطبعة بريل ، ١٩٢٠م) ، ٦٢ ، ١١٦ ؛ عبد الرحمن بن خلدون ، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر* ، =

للعرب كان بعد الإسلام ، حيث قدموا مع جيوش الفتح الأولى ، ثم ازداد عددهم أيام بني أمية[٢٩] وشهدت أيام هشام بن عبد الملك الأموي الاحتكاك العسكري بين البجة ووالي خراج مصر عبيد الله بن الحبحاب ، الذي هزمهم ، وأقام معهم صلحا ، جاءت

= ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، المعروف بتاريخ ابن خلدون (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ٢ : ٤٧ وما بعدها ، ٥١ ؛ أبو العباس تقي الدين أحمد المقريزي ، *البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب* ، دراسة وتحقيق عبد المجيد عابدين ، ط ١ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦١م) ، ٢٩ وما بعدها ، وقال بهجرة بلي بعد الإسلام ؛ عبد الله خورشيد البري ، *القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة* (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م) ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ؛ عوض خليفات ، *مملكة ربيعة العربية في وادي النيل* ، ط ١ (عمان : الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣م) ، ٤٨ ، ٤٩ وما بعدها ، وذكر أن علاقات العرب بمصر وشرق أفريقيا ، والنوبة ، والبجة ، تعود إلى أيام معين وسبأ وإلى أيام الهكسوس والآشوريين وتدمر ؛ MacMichael, *A History of the Arabs*, 1:9; Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 12.

وذكر أن اتصال العرب بالبجة كان يتم عن طريقين : (١) طريق شمال الجزيرة العربية ، فصحراء سيناء فمصر فالسودان ؛ (٢) طريق جنوب غرب الجزيرة العربية فباب المندب فالحبشة فشمالاً إلى بلاد البجة ، أو مباشرة عبر البحر الأحمر إلى عيذاب.

(٢٩) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٩٨ ، ١١٦ - ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٢ - ١٤٣ ، ١٨٤ ؛ محمد يوسف الكندي ، *ولاة مصر* ، تحقيق حسين نصار (بيروت : دار صادر ، ١٩٥٩م) ، ٦٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ٩٩ وجاء في مقدمة الكتاب للمحقق ، ٦ ، أن كنده لم تشترك في الفتح الإسلامي لمصر ؛ أبو العباس شهاب الدين أحمد العمري ، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* ، دراسة وتحقيق دوروثيا كرافولسكي (بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥ م)، ٤٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب* ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م) ، ٨٦ ؛

MacMichael, *A History of the Arabs*, 1: 159,160 ; S. Lane- Poole , *A History of Egypt in the Middle Ages* (London : Frank Cass , 1968) , 41; P.M. Holt , *A Modern History of the Sudan* (London : Weidenfeld and Nicolson , 1963) , 16.

شروطه في صالح العرب المسلمين.[٣٠] وظلت علاقات العرب مع البجة، تخضع لتنفذ العرب إلى أن جاء عهد المأمون العباسي، حيث قام البجة بقتل إبراهيم القفطي، رئيس قفط عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩ - ٨٢٠ م، فانتقم له أهل قفط بقتل محا رئيس البجة، ومعه ثلاثين شخصًا، انتقاما لمقتل رئيسهم إبراهيم القفطي.[٣١]

إن هذا العمل قد أثار حفيظة البجة، ودفعهم إلى الانتقام، ولم يوقفهم سوى تدخل أحد العلويين في الأمر، حيث هدأ من خواطرهم، غير أن أهل قفط خرجوا وبأعداد كبيرة خوفا من الانتقام، وتوجهوا إلى مصر (الفسطاط)، وظلوا هناك سبع سنوات، عادوا بعدها مع حكم النابغي، أحد أبناء قيس عيلان، الذي أخذ بثأرهم وأدب البجة عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧ - ٨٢٨م. وبقي يحكم في أرض البجة يسومهم سوء العذاب، حتى عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، ثم عاد إلى مصر.[٣٢] ولم يكد يستقر في مصر، حتى ثار البجة من جديد، واعتدوا على أرض الصعيد، عام (٢١٦هـ/ ٨٣١م).[٣٣]

وهنا اضطر المأمون إلى اتباع العنف مع البجة، فأرسل إليهم حملة عسكرية بقيادة عبد الله بن الجهم، الذي فرض سيطرة الدولة بالقوة، وهزم ملكهم كنون بن عبد العزيز، وألزمه بمعاهدة جديدة، جاءت في صالح العرب المسلمين، بكل المقاييس. وذلك في

---

(٣٠) ابن حكم، *فتوح مصر*، ١٨٩؛ الأسواني، *أخبار النوبة*، ١٠٩؛ المقريزي، *الخطط*، ١: ١٩٥؛ البستاني، *دائرة المعارف*، ٥: ١٩٧؛ بيكر، «البجة،» *دائرة المعارف الإسلامية*، ٣: ٢٦٢؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 29, 31.

وذكر أن الغزوة أيام عبد الملك، وذكرها أيضا أنها أيام هشام بن عبد الملك حسب ابن الفرات، الذي قال إنها لم تكن أكثر من غارة.

(٣١) ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، ٥٦، ٥٧؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 32.

(٣٢) ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، ٥٦، ٥٧؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 32.

(٣٣) المقريزي، *الخطط*، ١: ١٩٥؛ ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، ٥٧.

ربيع أول عام ٢١٦هـ/ ٨٣١م . [٣٤] وكان من الطبيعي أن يكون هناك شرط في الصلح ينص على أن يسمح الملك كنون بن عبد العزيز للعرب المقيمين هناك باستغلال مناجم الذهب والزمرد وغيرها من المعادن ، [٣٥] الأمر الذي عمل على زيادة الهجرة العربية إلى هناك .

وكان أن لجأ المعتصم (٢١٨ - ٢٢٦هـ/ ٨٣٣ - ٨٤٠ - ٨٤١ م) إلى إسقاط العرب من الديوان ، والاعتماد على الأتراك بدلاً منهم ، وقطع أرزاقهم وما يأخذونه من هبات ، مما زاد في حجم الهجرة العربية لأرض البجة ، أرض المعادن ، الذهب والزمرد . [٣٦]

وما دام الصلح لم يحقق للبجة شيئا من الامتيازات ، وأنهم غير راضين عن شروطه في حقيقة الأمر ، لأنهم انهزموا فإنهم باتوا يتحيّنون الفرصة لنقض الشروط ، والنيل من العرب المسلمين . فكان انشغال المتوكل بأمور الدولة الداخلية ، من أفضل الفرص المتاحة

---

(٣٤) المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٥ ؛ الأسواني ، *أخبار النوبة* ، ١٠٩ ، ١١٠ ؛ ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٧ ، وقد جعل ابن حوقل حملة عبد الله بن الجهم على بلاد البجة عام ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ - ٨٤٧ م ، أيام المتوكل وأن سببها اعتداء البجة على أملاك عبد الله بن الجهم ، وكان يلي عينونا ، وأسوان ، والحوراء ، وأنبوا ؛ أحمد بن الحجاج علي المعروف بكاتب الشونة ، *مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية* ، تحقيق الشاطر بصيلي (القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد ، الإدارة العامة ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦١ م) ، ١٢٦ ؛ حسن إبراهيم حسن ، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي* ، ط ٧ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م) ، ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ حسن إبراهيم حسن ، *انتشار الإسلام في أفريقيا* ، ط ٢ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م) ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ مصطفى مسعد ، *الإسلام والنوبة في العصور الوسطى* (القاهرة : الأنجلو المصرية ، د . ت .) ، ١١٦ ، ١١٧ ؛ Hassan , *The Arabs and the Sudan* , 40, 41.

وذكر أن معاهدة ٢١٦هـ أيام المأمون ، مع أنه يقول إنها زمن المعتصم (p.38) . والصحيح ما دامت عام ٢١٦هـ، فهي في زمن المأمون ، عندما كان المعتصم يلي مصر للمأمون.

(٣٥) المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٥ ؛ القوصي ، *تاريخ مملكة الكنوز الإسلامية* ، ٢٥ وما بعدها ؛ Hassan , *The Arabs and the Sudan* , 36, 37.

(٣٦) الكندي ، *ولاة مصر* ، ٢١٧ ، ٢١٨ ؛ خليفات ، *مملكة ربيعة العربية* ، ٦١ ؛ MacMichael , *A History of the Arabs*, 1 : 166; Hassan , *The Arabs and the Sudan* , 36, 37.

للبجة ، كي يثوروا فاستغلوها وأغاروا على الصعيد ، فأرسل إليهم المتوكل حملة عسكرية بقيادة محمد القمي لتأديبهم من جديد ، وذلك عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥ - ٨٥٦ م . (٣٧)

وفي الواقع كان البجة ناقمين على شروط الصلح المعقود معهم عام ٢١٦هـ/ ٨٣١م أيام حملة عبد الله بن الجهم ، أيام المأمون ، وكان أن تكاثر العرب في أرضهم بالعلاقي ، أرض المعادن ، واستولوا على مقدرات الحياة فنقم البجة عليهم وأغاروا على الصعيد ، حينما تهيأت لهم فرصة انشغال المتوكل بالأمور الداخلية .

ولما عرف المتوكل ، على الرغم من انشغاله ، أرسل إليهم حملة عسكرية لأنهم أصبحوا يشكلون له قوة لا يريدها في أرض العلاقي ، حفاظا على ما يستخرج من ذهب وزمرد ، والمهم في الأمر هنا أن القمي من خلال قيامه بتحركات عسكرية ناجحة ، استطاع أن يفرض هيمنة الدولة من جديد على أرض المعادن ، ويغنم أموالاً كثيرة . (٣٨)

وتتضارب الروايات حول مصير ملك البجة علي بابا ، فمنها من يقول بقتله في أرض المعركة ، ومنها من يقول بغير هذا ، وأنه أسر وذهب به القمي ومعه ملك النوبة

---

(٣٧) محمد بن جرير الطبري ، *تاريخ الأمم والملوك أو الرسل والملوك ، المعروف بتاريخ الطبري* ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار اسويدان ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ، ٩ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ؛ كاتب الشونة ، *مخطوطة كاتب الشونة* ، ١٢٦ ؛ Hassan . *The Arabs and the Sudan* . 50, 51 ؛ عز الدين ابن الأثير ، *الكامل في التاريخ* (بيروت : طبعة دار صادر ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ، ٧ : ٧٧ - ٧٨ ؛ قدامة بن جعفر ، *الخراج وصناعة الكتابة* ، تحقيق محمد حسين الزبيدي (بغداد : دار الثقافة ، دار الرشيد ، ١٩٨١م) ، ٣٥٣ ؛ ابن خلدون ، *ديوان المبتدأ والخبر* ، ٣ : ٣٧٧ ؛ Lane-Poole, *A History of Egypt*, 41 .

(٣٨) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٨ ، ويقول كان جيش القمي مكونا من ألف رجل منهم خمسماية فارس ، وأخذ عشرة آلاف دينار ، وسار إلى أسوان في طريقه للعلاقي ، وانضم إليه في العلاقي ثلاثة آلاف رجل من ربيعة ومضر واليمن ، وكان جيش علي بابا ٢٠٠ ألف رجل ؛ كاتب الشونة ، *مخطوطة كاتب الشونة* ، ١٢٦ .

قيرقي إلى المتوكل في العراق ، حيث فرض عليه صلحا جديدا، أواخر عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥ - ٨٥٦م .(٣٩)

واستقبل المتوكل ملكي البجة والنوبة ، وبعد مدة عاد الملكان إلى بلديهما ، وكان المتوكل قد ولى سعد الخادم بلاد أسوان ، والبجة ، والطريق بين مصر ومكة ،(٤٠) فولاها سعد للقمي الذي سار إليها مع ملكي البجة والنوبة ، وظل في تلك الأراضي واليا، حتى قتله الأمير أشهب ، أمير ربيعة، عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩ - ٨٦٠م .(٤١) وكان القمي قد تركه هناك لما ذهب مع ملكي البجة والنوبة إلى العراق عند المتوكل . وكان سرور المتوكل لا يوصف بنصره على البجة ، حتى أنه سك نقودا جديدة بهذه المناسبة تعرف بنقود الصلة، لا تزال محفوظة بمتحف الفن بفينا .(٤٢)

وظلت القبائل العربية الموجودة في أرض البجة ، حيث الذهب والزمرد تعيش في تلك الجهات ، وازدادت الهجرة إليها بشكل لافت للنظر ، نتيجة لعدد من العوامل التي أثرت في هذا المجال .

والمتتبع للروايات التاريخية الخاصة بوضع العرب في الدولة العباسية بشكل عام ، وفي مصر بشكل خاص ، يلاحظ أن العرب لم يكونوا راضين عن وضعهم في مصر ،

---

(٣٩) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٨ ، وذكر أن ملك النوبة الذاهب للعراق هو يركي ؛ البلاذري ، *فتوح البلدان* ، ٢٣٩ - ٢٤٠ ، وذكر أن علي بابا قتل في المعركة ؛ الأسواني ، *أخبار النوبة* ، ١١٢ ، ١١٣ ؛ الطبري ، *الأمم والملوك* ، ٩ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ Lane-Poole, *A History of Egypt*, 42; MacMichael, *A History of the Arabs*, 1:169.

(٤٠) الطبري ، *الأمم والملوك* ، ٩ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ قدامة بن جعفر ، *الخراج*، ٣٥٣ ؛ حسن ، *انتشار الإسلام* ، ١٤٥ ؛ Lane-Poole, *A History of Egypt*, 42; MacMichael, *A History of the Sudan*, 51.

(٤١) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٩ ؛ جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي ، *النجوم الزاهرة* ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ٢ : ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٤٢) خليفات ، *مملكة ربيعة العربية* ، ٦٣ ، ٦٤ .

نتيجة لضغط الولاة ، وتحصيلهم الضرائب المفروضة ، بطريقة غير ملائمة ، فثاروا منذ عام ١٦٨هـ/ ٧٨٤ - ٧٨٥م ، أيام المهدي ، وولاية موسى بن مصعب الخثعمي ، وثاروا أيام ولاية إسحق بن سليمان عام ١٧٨هـ/ ٧٩٤م ، وأيام ولاية الليث بن فضل عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨ - ٧٩٩م ، وأيام ولاية الحسين بن جميل عام ١٩٠هـ/ ٨٠٥ - ٨٠٦م في خلافة الرشيد، وثاروا أيام ولاية عيسى بن يزيد الجلودي عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧ - ٨٢٨م وأيام ولاية عيسى بن منصور عام ٢١٦هـ/ ٨٣١م ، في خلافة المأمون .(٤٣)

وكانت سياسة المعتصم المعادية للعرب في مصر من أهم أسباب هجرة القبائل العربية من مصر إلى أرض العلاقي وجهاتها ، أيام ولاية كيدر بن نصر الصفدي ،(٤٤) وقد احترف هؤلاء الزراعة ، والتجارة ، واختلطوا بالسكان البجة ، وتزاوجوا معهم ، ونقلوا إليهم الإسلام والعربية .(٤٥) ومن أهم القبائل التي هاجرت بلي ، وجهينة ، وربيعة ، منذ أيام الإسلام الأولى ، والتي ظلت تتزايد بمن يهاجر إليها من جديد إلى أن كانت هجرة ربيعة الكبرى ، في منتصف القرن الثالث الهجري ، تحت إلحاح ظروف قيام دولة بني الأخيضر في اليمامة .(٤٦) ومن أهم بطون ربيعة : أسد ، وشيبان ، وتغلب ، وحنيفة ،

---

(٤٣) الكندي ، *ولاة مصر* ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ؛ المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ١٤٤ - ١٤٥ (قول المحقق) .

(٤٤) الكندي ، *ولاة مصر* ، ٢١٧ ، ٢١٨ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ٣١١ ، ويقول ثار يحيى ابن الوزير الجروي على المعتصم نتيجة لما فعله بالعرب ، من إسقاطهم من الديوان ، وظلمهم ، وتقديم الترك عليهم ، أيام الوالي كيدر، وفي جمع من لخم وجذام ؛ فضل ، *دراسات في تاريخ السودان* ، ٥٤ - ٥٥ ، ولخص أسباب هجرة العرب إلى أرض العلاقي بما يلي : تغير أحوال العرب منذ قيام بني العباس ، سياسة المعتصم بحرمان العرب من العطاء ، واعتماده على الترك .

(٤٥) المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ٨١ - ٨٢ ؛ مسعد ، *الإسلام والنوبة* ، ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤٦) أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي البكري ، *معجم ما استعجم من أسماء المواضع* ، تحقيق مصطفى السقا (القاهرة : المعهد الخليفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)، ١ : ٥ ، وأشار إلى موطن ربيعة قبل هجرتها إلى مصر ؛ حسن ، *مقدمة* ، ١٧ ، وذكر أن جهينة من أول القبائل التي اشتغلت بالتبر في العلاقي ، وانتشرت بطونها بين البجة ، ومن فروعها بنو عرك .

وعنزة ولخم ، وعبد القيس ، والنمر ، وزحل ، وبني يونس .[٤٧]

ولكن يا ترى متى كانت هجرة ربيعة الكبرى من اليمامة ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نقول : ذكر ابن حوقل[٤٨] عندما تكلم عن حملة عبيد بن جهم عام (٢٣٢هـ/ ٨٤٦ - ٨٤٧ م) أنه « كان في بعض أصحابه من عاين التبر وأثار العمل فيه للروم بالجزيرة، عند أول دخولهم مع عبيد بن جهم مولى المأمون ، فنكصوا إلى البلد من سنتهم ، وصادف ذلك دخول محمد بن يوسف الحسني الأخيضر اليمامة ، وانقشاع أهلها من جوره إلى أرض مصر والمعدن في آلاف كثيرة ، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنتهم وفورهم ، وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر وهم جميع أهل اليمامة في سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢ - ٨٥٣م » ، وذكر في موضع آخر :[٤٩] « وأما اليمامة فواد ، والمدينة به تسمى الخضرمة دون مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وهي أكثر نخيلاً وثمرا من المدينة ومن سائر الحجاز ، وكانت قرارا لربيعة و مضر ، فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر ، فسكنوا بين النيل وبحر القلزم ، وقرت ربيعة و مضر هناك ، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها ، وابتنوا بها غير منبر . »

وذكر المقريزي[٥٠] أن أولاد الكنز بصعيد مصر « أصلهم من ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، وكانوا ينزلون باليمامة ، وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله أعوام بضع وأربعين ومائتين في عدد كثير وانتشروا في النواحي ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها . »

ويستخلص من هذه الروايات رأيان هما : الأول وقال به ابن حوقل ، وأكد فيه أن هجرة ربيعة الكبرى كانت عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢ - ٨٥٣ م ، والثاني وقال به المقريزي ، وأكد أن هجرة ربيعة الكبرى كانت أعوام بضع وأربعين ومائتين هجرية . وإذا ما دققنا في

---

(٤٧) ابن عبد الحكم ، *فتوح مصر* ، ١١٥ ، ١١٦ ؛ القوصي ، *تاريخ دولة الكنوز* ، ٢٢ .

(٤٨) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٤٩) ابن حوقل ، *كتاب صورة الأرض* ، ٣٨ .

(٥٠) المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ٤٤ .

خبر ابن حوقل لرأيناه قد ذكر هجرة ربيعة من اليمامة في موضعين، ذكر في الموضع الأول الهجرة وعزاها إلى ظلم بني الأخيضر لربيعة و مضر في اليمامة فاضطروا للهجرة وذكر تاريخها عام ٢٣٨هـ . وأما في الموضع الثاني فربطها أيضا بالظلم الذي واجهته ربيعة عند قيام بني الأخيضر في اليمامة ، غير أنه لم يعين زمنها .

ونحن هنا نقول إن روايتي ابن حوقل فيهما شيء من التناقض ، لأنه ذكر الرواية التي لا تذكر زمنا للهجرة قبل التي تحدد زمن الهجرة عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢ - ٨٥٣ م، غير أنه علل سبب الهجرة في الروايتين بظلم بني الأخيضر .

وإذا عدنا إلى المصادر القريبة من الهجرة نجد أن اليعقوبي [٥١] يذكر في كلامه عن مصادر التبر بالعلاقي « أن الوادي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس ، وأخلاط من العرب والعجم وأصحاب المطالب ، وبها أسواق وتجارات ، وشربهم من آبارتحفر في وادي العلاقي ، وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية من اليمامة ، » والملاحظ أنه لم يحدد زمنا لهجرة ربيعة من اليمامة .

وأما المسعودي [٥٢] هو الآخر، فيذكر الهجرة قائلاً : « وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب ، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا من البجة فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكنوا تلك الديار . » ولم يحدد المسعودي أيضا زمنا لهجرة ربيعة .

وإذا نظرنا إلى المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة بدقة نجدها تؤكد أن قيام دولة بني الأخيضر في اليمامة كان بعد عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م ، فقد ذكر اليعقوبي [٥٣] أن إسماعيل ابن يوسف الطالبي السفاك ثار في جهة المدينة المنورة ، وأفسد في جهات الحجاز ، وقتل

---

(٥١) اليعقوبي ، *البلدان* ، ٣٣٤ .

(٥٢) المسعودي ، *مروج الذهب* ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (صيدا ، بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م) ، ٢ : ١٨ .

(٥٣) اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، ٢ : ٤٩٨ .

ونهب عام ٢٥١هـ/ ٨٦٥م ، بينما أكد كل من الطبري، [٥٤] والمسعودي، [٥٥] وابن الأثير، [٥٦] وابن خلدون [٥٧] أن إسماعيل لم يلبث أن توفي عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م، فخلفه أخوه محمد الأخيضر في ثورته ، فاضطرت الخلافة إلى قتاله غير أنه تمكن من الهرب إلى جهات اليمامة ، واستطاع هناك أن يقيم له دولة عرفت بالدولة الأخيضرية عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٨ - ٨٦٩م . وهذه الدولة هي التي ظلمت أيام محمد الأخيضر ربيعة ومضر واضطرتهم إلى الهجرة إلى مصر وأرض المعدن إلى العلاقي . هذا وقد ذكر ثورة السفاك كثير من المؤرخين المحدثين . [٥٨]

---

(٥٤) الطبري ، *الأمم والملوك* ، ٩ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ .

(٥٥) المسعودي ، *مروج الذهب* ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٤ (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ، ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ .

(٥٦) ابن الأثير ، *الكامل* ، ٧ : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٧ .

(٥٧) ابن خلدون ، *ديوان المبتدأ* ، ٤ : ٩٨ - ٩٩ .

(٥٨) أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني ، *صفة جزيرة العرب* ، تحقيق محمد علي الأكوع ، إشراف حمد الجاسر (الرياض : داراليمامة للطباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ، ٣٠٩ ؛ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، *جمهرة أنساب العرب* ، تحقيق لجنة من كبار العلماء بإشراف الناشر ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ٤٦ ؛ أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، *مقاتل الطالبيين* ، تحقيق وشرح أحمد صقر (بيروت : دار المعرفة ، د . ت .) ، ٦٦٩ ؛ أبو الفدا إسماعيل بن كثير ، *البداية والنهاية* ، ط ٢ (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٧٧م)، ١١ : ٩ ، ١٠ ، ١١ ؛ القلقشندي ، *صبح الأعشى*، ٥ : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، وذكر أن محمد بن يوسف قد تولى أمر اليمامة أيام المستعين ، والصحيح أخوه إسماعيل هو الذي تولى اليمامة أيام النزاع بين المستعين والمعتز ، ولكن محمد بن يوسف تولى الثورة بعد أخيه وبعد عزل المستعين بتنازله عن الخلافة مرغما أوائل عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م ، أواخر عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م؛ النجم عمر بن فهد ، *إتحاف الورى بأخبار أم القرى* ، تحقيق فهيم شلتوت ، ط ١ (مكة المكرمة : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ٢ : ٣٢٩ ، ٣٣١ ؛ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي ، *الإعلام بأعلام بيت الله الحرام* بحاشية *خلاصة الكلام* لابن زيني دحلان ، ط ١ (القاهرة : المطبعة الخيرية ، ١٣٠٥هـ)، ٩٨ ؛ عبد الملك بن حسين المكي العصامي ، *سمط النجوم العوالي في* =

وهنا يمكننا القول إن زمن هجرة ربيعة الكبرى ، تم بعد ٢٥٥هـ/ ٨٦٨ - ٨٦٩ م ؛ وأما ماذكره ابن حوقل كزمن للهجرة الكبرى ليس صحيحا على الإطلاق ، وكانت هناك هجرة لربيعة وغيرها مستمرة منذ بدأت القبائل في فتح مصر وجهاتها ، وكان كلما انتشر خبر وجود الذهب بالعلاقي ، وشعرت القبائل بشيء من الضيق في وطنها الأول ، أو على سبيل المغامرة تهاجر إلى جهات العلاقي بحثا عن المال والاطمئنان .

وأما ما ذكره المقريزي من أن هجرة ربيعة الكبرى كانت عام بضع وأربعين ومائتين للهجرة فليس دقيقا هو الآخر على الإطلاق فيما ذكره ، لأن الأحداث التاريخية تذكر أن حملة المتوكل على بلاد البجة عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥ - ٨٥٦م، [٥٩] وإيقاع قائده محمد القمي بهم وتحقيق المكاسب على حسابهم قد شجعت القبائل على الهجرة كربيعة وغيرها، والتي كانت هجرتها مستمرة تزداد زخمًا أو تقل حسب الظروف السياسية والمادية في موطنها الأصلي في اليمامة .

وهكذا فيمكننا القول بأن قبائل بني ربيعة قد اختارت أرض العلاقي للإقامة الدائمة، لعدة أسباب منها : بعدها النسبي عن سيطرة رجال الدولة العباسية في مصر ، وسهولة الحصول على العبيد للاشتغال بالتعدين لكثرة الزمرد والذهب في المنطقة، وقرب المنطقة من شواطىء البحر الأحمر ، حيث طرق التجارة الواصلة لموانىء هذا البحر من مدن مصر العليا ، ولأن المنطقة تعتبر عقدة مواصلات للوصول إلى مناطق الذهب في الصعيد والصحراء الشرقية .

= *أنباء الأوائل والتوالي* (القاهرة : المطبعة السلفية ، د . ت) ، ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ ؛ عز الدين عبد العزيز بن فهد ، *غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام* ، تحقيق فهيم شلتوت ، ط ١ (جدة : مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى ، مطبعة المدني ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١ : ٤٣٣ - ٤٣٦ ؛ نزار عبد اللطيف ، « إمارة بني الأخيضر في اليمامة، » *مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد* ، ٢ ، ع ٢١ (١٩٧٦ - ١٩٧٧م) ، ١٢٩ وما بعدها ؛ المقريزي، *الخطط* ٢ : ٢٧٦ .

(٥٩) الطبري ، *الأمم والملوك* ، ٥ : ٣٢٢ ، ٣٢٤ ؛ قدامة بن جعفر ، *الخراج وصناعة الكتابة* ، ٣٥٣ .

هذا وقد شهد بعيد منتصف القرن الثالث بقليل ، قيام دولة بني طولون في مصر ، الأمر الذي جعل العرب يشعرون بالإهانة ، لأنها دولة ذات ميول تركية ، فثاروا ثورات فاشلة في مصر ، فاضطروا إلى الهجرة إلى منطقة العلاقي ، حيث جذبهم بريق الذهب والزمرد إلى هناك ، ثم أقاموا تحالفات مع من سبقهم من ربيعة وغيرها ، بهدف إقامة قوة صلبة ، تعوضهم عن حقهم الضائع في الدولة العباسية ، منذ أيام المعتصم . (٦٠)

وبدأ العرب في تكوين تحالفات فيما بينهم ، وتصاهروا مع البجة خاصة قبائل ربيعة ، وأصبحت المصلحة تقتضي العيش بهدوء ، ليتقاسم الجميع أرباح المعادن ، وبخاصة أن البجة لم يكونوا ممن يحسنون استغلال تلك المعادن . (٦١)

ثم زادت تفاعلات المهاجرين العرب مع من سبقهم ، وزادت الصلات بالبجة زيادة ملحوظة ، فزادت المصاهرات وبخاصة مع قبائل ربيعة ، وكان سلطان الخلافة قد زال هناك ، عندما قتل محمد القمي عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩ - ٨٦٠م كما مر ، مما أعطى التحركات العربية حرية أكثر في المنطقة . فبدأت الزعامات العربية في الظهور ، ومنها زعامة أشهب ، زعيم ربيعة ، الذي قوى تحالفه مع البجة ، ليضمن له المزيد من الحصول على الذهب والزمرد ، واتخذ من مدينة النمامس مركزا له . (٦٢) ثم قدم العمري إلى المنطقة ، ومن الطبيعي أن يصاحبه عدد من العرب ، إلى منطقة العلاقي . (٦٣)

والمهم ، جرت محاولات في منطقة العلاقي ، لإقامة إمارات عربية مستقلة ، كان منها محاولة ربيعة بقيادة أشهب كما قلنا ، ومحاولة أبي عبد الرحمن العمري لما وصل المنطقة .

---

(٦٠) المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ٤٤ ؛ المقريزي ، *الخطط* (بيروت : دار صادر ، د . ت .) ، ٢ : ٢٧٦ ؛ خليفات ، *مملكة بني ربيعة* ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(٦١) ابن خلدون ، *ديوان المبتدأ والخبر* ، ٣ : ٢٧٧ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٦ ؛ البستاني ، *دائرة المعارف* ، ٥ : ١٩٧-١٩٨ .

(٦٢) المقريزي ، *الخطط* ، ٢ : ٢٧٦ ؛ المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ٤٤ ؛ عوض خليفات ، *مملكة ربيعة* ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ . النماس : لم أستطع أن أجد فيما بين يدي من مصادر معلومات عن النماس أكثر مما ورد في النص .

(٦٣) مؤنس ، *الإسلام الفاتح* ، ١٧٣ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٥ .

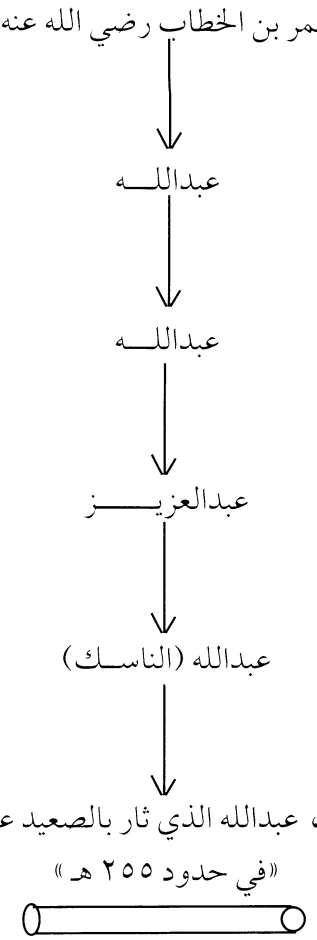

المرجع : ابن حزم، جمهرة، ١٥٢ - ١٥٣ .

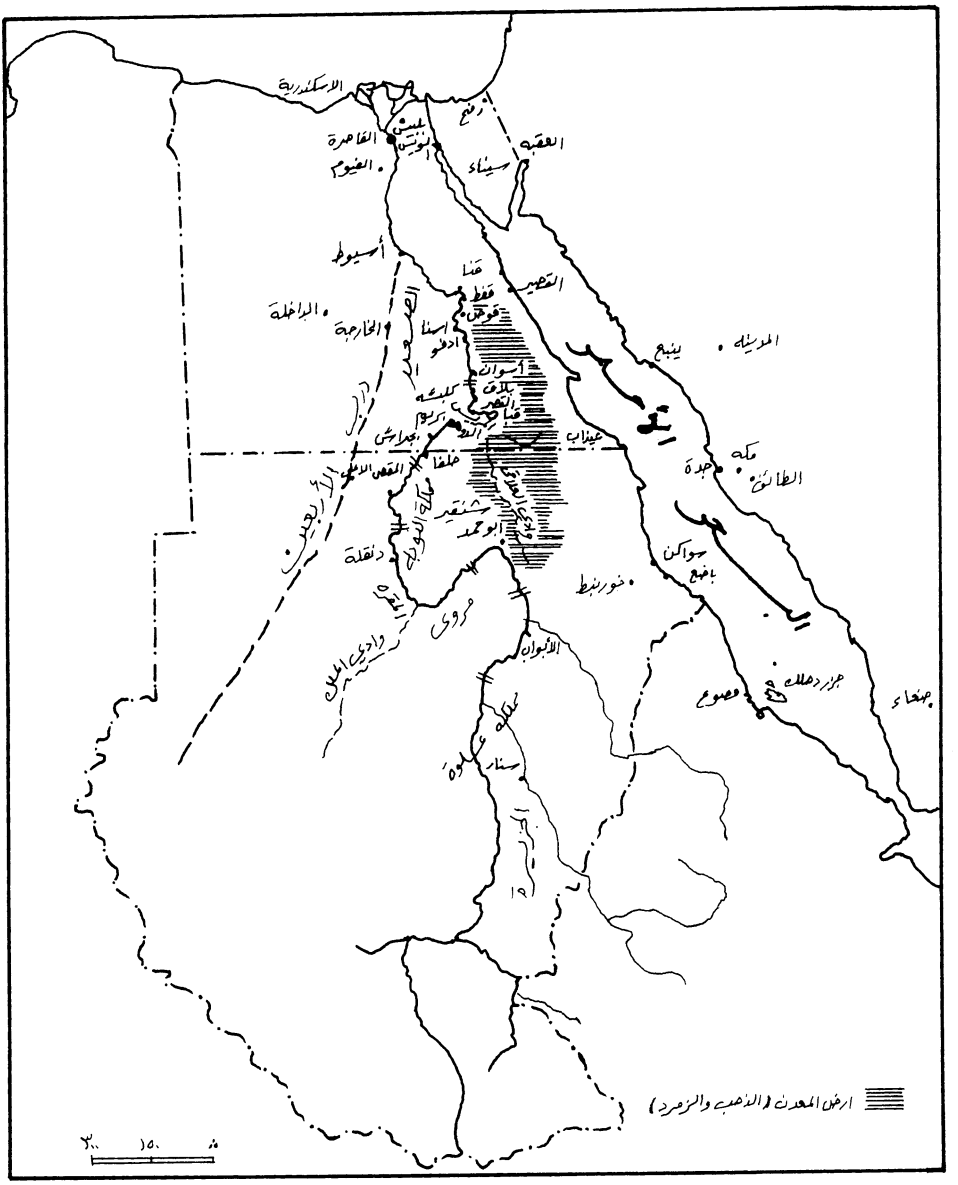

شكل رقم ١ . خارطة مصر والسودان، تظهر عليها المواقع الجغرافية الواردة في البحث.

من هو أبو عبد الرحمن العمري ؟

هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عبد الحميد بن الناسك عبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، العدوي، القرشي . (٦٤)
ولد أبو عبد الرحمن بالمدينة ، وترعرع في ربوعها ، ثم قدم مصر بعد ذلك ، واختلط بعلمائها ومفكريها ، ومنهم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وسمع منه الحديث ، وتتلمذ على يديه ، وعلى يدي غيره من علماء العصر ، حتى حصل قسطا كبيرا من العلم والمعرفة .

ثم ارتحل أبو عبد الرحمن إلى القيروان في شمال أفريقيا ، أيام إبراهيم بن الأغلب، ومدحه ، واتصل به ، ونال ثقته ، والحظوة لديه ، وحاز عطاياه الكثيرة ، ثم عاد بعد ذلك إلى مصر عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥ - ٨٥٦م) ، وكان قد زاد علمه كثيرا ، عما حصل في مصر في الفترة الأولى من حياته ، من الفقه ، والأدب ، والشعر ، ومعرفة الفلسفة ، والتنجيم . (٦٥)

ولما قدم أبو عبد الرحمن ثانية إلى مصر ، ورأى ما هي عليه الحال هناك ، حيث شهد عام مقدمه والعام التالي سخطا على العرب ، فقد عزل عنبسة بن إسحق ، آخر وال عربي عام ٢٤٢هـ/ ٨٥٦ - ٨٥٧ م، (٦٦) ثم أخذت أحوال الخلافة ومصر تسوء بعد ذلك . (٦٧) وبعد مدة سار العمري إلى أسوان ، وجالس أهلها وتأثر وأثر فيهم علميا، ثم دخل بعد ذلك إلى أرض المعدن إلى العلاقي .

---

(٦٤) ابن حزم ، *جمهرة أنساب العرب* ، ١٥٢ - ١٥٣ ؛ اليعقوبي ، *تاريخ* ، ٢ : ٥٠٦ ، وذكر العمري باسم عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ؛ ابن خلدون ، *ديوان المبتدأ والخبر* ، ٣ : ٣٠٥ ، وذكر العمري باسم عبد الحميد ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ، أبو عبد الرحمن العمري ؛ المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٦٥) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٦ .

(٦٦) الكندي ، ولاة مصر ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ؛ Lane-Poole, *A History of Egypt*, 42 .

(٦٧) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، بكتاب عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٩٦ .

الخطوة الأولى لقيام الإمارة

اختلف في سبب خروج العمري من مصر إلى أرض المعدن ، إلى العلاقي ، أيام ابن طولون ، فذكرت بعض المصادر وعلى رأسها البلوي ، وابن الأثير ، وابن خلدون ، أن سبب ظهوره هو الغيرة على الإسلام والمسلمين في أرض المعدن ، حيث قام البجة بالاعتداء على العرب المسلمين المشتغلين باستخراج الذهب والمعادن الأخرى في العلاقي . وأنه استطاع أن يقهر البجة ويسجل النصر عليهم ، ويلزمهم بدفع الجزية قسرا ورغم أنوفهم . (٦٨) وأما المقريزي ، (٦٩) فذكر أن أبا عبد الرحمن جذبه بريق الذهب إلى أرض المعدن في العلاقي ، وانقلب من رجل دين إلى رجل مغامر ، وأنه اشترى العبيد وأدوات استخراج المعادن ، أثناء وجوده في الفسطاط . ثم اتجه بهم إلى أسوان كتاجر ، ليستغلهم في استخراج الذهب ، ثم ذكر أيضا أنه خرج غضبا لله لرد البجة المعتدين على حدود مصر . (٧٠) وأما المراجع الحديثة ، (٧١) فذكرت أن ابن طولون قد أرسل حملة عسكرية إلى النوبة وجهات المعادن ، ليؤمن سيل الذهب إليه في مصر ، وأنه أوكل قيادتها إلى أبي عبد الرحمن العمري .

---

(٦٨) أبو محمد ، عبد الله بن محمد المديني البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، تحقيق محمد كرد علي (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، المركز الإسلامي ، ١٩٥٨م) ، ٦٤ ، ٦٥ ؛ ابن الأثير ، *الكامل* ، تصحيح محمد يوسف الدقاق ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ٦ : ٢٤٣ ؛ ابن خلدون ، *ديوان المبتدأ والخبر* ، ضبط خليل شحادة ، ومراجعة سهيل زكار ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ٤ : ٣٩٢ ؛ MacMichael, *A History of the Arabs*, 1:166 .

(٦٩) المقريزي ، *المقفى* ، نصوص ضمن المكتبة السودانية ، تحقيق مصطفى مسعد ، ط ١ (القاهرة : مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم ، ١٩٧٢م) ، ٣٥٥ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٦ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 52 .

(٧٠) المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ١٢١ .

(٧١) مؤنس ، *الإسلام الفاتح* ، ١٧٣ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٥ ؛ مسعد ، *الإسلام والنوبة* ، ١٢٤ ؛ عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ١٦٤ .

ونحن هنا أمام ثلاثة آراء ، إما أن العمري خرج مجاهدا في سبيل الله مدافعا عن حق المسلمين ، المعتدى عليهم في أرض العلاقي ، من قبل البجة والنوبيين ، وإما أنه خرج لاكتشاف معادن جديدة ، وإما أنه خرج بتكليف من أحمد بن طولون لقيادة حملة عسكرية إلى جهات المعدن . ونحن لو تمعنا في الأمر ، لوجدنا الرأيين الأولين صحيحين إلى حد كبير ، فمما لا شك فيه أن العمري كان مغامرا ، قد عرف ما يدور في الفسطاط وغيرها من تراجع دور العرب ، وتقدم دور الأتراك ، الذين أصبح بيدهم تسيير الأمور إلى جانب الخلافة ، وكانوا سرعان ما ينقلبون ضد الخليفة ، إذا ما شعروا منه تنكرا لهم ، ويستبدلونه بآخر ، دون النظر فيما إذا كان يصلح للخلافة أم لا يصلح ، وبدون استشارة المسلمين في هذا الأمر ، منذ أيام المعتصم وحتى أيام المهتدي ، هذا مع تحصيل الخراج بطرق ظالمة . ولا شك في أن العمري قد أدرك صعوبة هذا الأمر ، وأراد أن يبحث عن موطن آخر ، يكون أكثر عطاء وأمنا له وللعرب ، ممن تذمروا من الوضع ، فوجد ضالته في أرض المعدن ، حيث كان البجة قد اعتدوا على المسلمين هناك . فأعلن أنه خرج للدفاع عن المسلمين من عدوان البجة . أي أن العمري خرج كمغامر سعيا وراء الحصول على الذهب ، وإن كان قد أعلن أن خروجه في سبيل رد العدوان عن المسلمين في جهات جنوب مصر من قبل البجة والنوبيين .

وأما الرأي الثالث المعتمد على ما ذكرته المراجع ، فلا يمكن الركون إليه لأن هذه المراجع لا تشير إلى المصادر التي استقت منها أخبارها ، وأن مجريات الأحداث لا تؤيد مثل هذا الرأي .

سار العمري بمن خرج معه من أتباعه متوجها إلى العلاقي . ولما وصل إلى تلك الجهات ، نزل في حي من مضر . وفي أثناء إقامته بينهم ، حصل خلاف بين المضريين ومن يجاورهم من ربيعة ، بسبب قتل أحد رجال مضر . وكان من الممكن أن تقوم الحرب بينهم ، لولا أنهم سرعان ما أنهوا الخلافات ، وسووا الأمور ، وقضوا على الخلاف بتنازل ولي المقتول عن حقه دون أن يكون للعمري يد فيما تم ، الأمر الذي جعله يغضب كثيرا ، ويرحل من بين المضريين .[٧٢]

---

(٧٢) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٦ .

إن تصرف العمري هذا يدل على أنه كان يعول على مضر كثيرا في أن يتخذهم أعوانا له، ليصل بواسطتهم إلى أن يصبح سيدا مطاعا في المنطقة، حيث تكثر قبائل ربيعة، ولو كان يريد غير هذا لما رحل عنهم إلى غيرهم. ولكنه كان في واقع الأمر يرغب في أن يرى له أتباعا في أرض العلاقي، حيث تتوافر الثروة اللازمة والجاه، إلى جانب الطموح والمغامرة. وما دام الأفراد قد تخلوا عنه وأكثرهم من مضر فليرحل إلى غيرهم إلى موقع خاص، يمكنه من خلاله تحسين أوضاعه والوصول إلى ضالته المنشودة.

خرج العمري من مناطق سيطرة مضر إلى حيث يجد إمكانية النصر وإيجاد حلفاء له في المنطقة لينصروه فيما يخطط له، إلا أن قسما من مضر لحق به وأخذ يعتذر عما فعلوه بحقه من قطع الأمر دونه، وألحوا عليه في العودة إليهم فرفض العودة، وأظهر لهم نقمته على فعلتهم التي تعني أنهم ليسوا بحاجة إلى أمثاله لينظم صفوفهم ويوحد كيانهم في وحدة يحسب حسابها في منطقة تزاحم في أرض العلاقي وأعلن لهم: «نقمت عليكم أطراحي، إذ لم تحضروني هذا الأمر؛ قالوا: ما علمنا أنك تختار هذا، أما وقد رغبت إلى مثله، فلا خلاف عليك منا، ولا نورد ولا نصدر بعد هذا إلا عن أمرك، واتبعوا القول أيمانا مؤكدة.»(٧٣)

وهنا اعتقد العمري، وحق له الاعتقاد، أن فرصته قد لاحت ليتولى زعامة العرب المضريين وغيرهم في أرض العلاقي، أرض الذهب والزمرد، واعتبر أن ما حصل من القوم عقد بيعة، فعاد معهم من جديد إلى أماكن وجودهم، وأخذ ينظم أمورهم ويحرضهم على نقض صلحهم مع ربيعة وحربهم فأطاعوه وسلموا له القيادة.(٧٤) وهكذا عاد العمري مؤيدا بقوة في المنطقة، وأصبح له سند حقيقي وتوافرت له إمكانات إقامة إمارة عربية قادرة على الوقوف أمام أعداء العرب في المنطقة. ثم كاثرته ربيعة واختلف معها فانحاز إلى معدن مما يلي الجنوب، ثم توسع إلى أن نزل منطقة جديدة، وكانت منطقة نفوذه الجديدة تشتمل على المنطقة الممتدة من شرق أبي حمد إلى شمال وادي حلفا، ومركزها مدينة أم بناردي، شمال شرق محطة السكة الحديدية رقم ٦ غربي طريق القوافل

(٧٣) المقريزي، *المقفى*، المكتبة السودانية، ٣٥٦.

(٧٤) المقريزي، *المقفى*، المكتبة السودانية، ٣٥٦.

بين كرسكو وأبو حمد ، والتي عرفت باقليم شنقير ، تصغير شنقر والتي تعني العملة أو المعدن باللغة النوبية القديمة . (٧٥)

وبوصول العمري إلى أم بناردي ، تكون الخطوة الأولى في سبيل إقامته الإمارة قد بدأت فعلاً ، وأن عليه الاستمرار في إعلاء البناء بحزم وعزم بما عرف عنه من طموح ومغامرة ، وبما توافر له من الإمكانات الجديدة ، البشرية والمادية . وكانت الصعوبة الوحيدة والعقبة الكؤود أمامه ، هي عدم توافر المياه الكافية في المنطقة . وكانت عملية الحصول عليها من بلاد النوبة ممكنة ، لولا أن أهل النوبة كان من أهم مطالبهم أن لا يروا إمارة عربية في المنطقة ، وأنهم لن يكونوا راضين عن مثل هذه الإمارة بجانبهم وأنهم سيناصبونها العداء فيما لو وجدت . وكانت عملية الحصول على المياه تقتضي أن يتمكن العمري من جلبها من أرض مملكة مقرة النوبية . (٧٦) ولكن محاولاته الأولى في هذا الصدد باءت بالفشل ، حيث قام النوبيون وألقوا القبض على رجال العمري الذين قدموا لجلب المياه . وهنا رغب العمري في أن يعالج القضية دبلوماسيا ، وتدخل للإفراج عن الأسرى ، وطلب من النوبيين أن يجعلوا له طريقا للماء لا يتجاوزه رجاله غير أن النوبيين رفضوا ذلك ، وأصروا على أن لا يمكنوا العمري وجماعته من الحصول على المياه ، ونكاية به قاموا بقتل من أسروه من جماعته ، فتحرج موقفه ، وأصبح عليه أن يسوي المشكلة بسرعة .

وكان موقفه حرجا بالفعل ، فإن كتلة ربيعة في أرض العلاقي لم تكن تدعم وجوده ، بل لم ترحب بوجوده ، الأمر الذي جعله يقبل بالعودة إلى منطقة مضر الأقل أهمية من منطقة ربيعة الأكثر سيطرة على منطقة العلاقي ، ثم إلى شنقير ، ريثما يتقوى ويتفرغ لربيعة وأحلافها . وها هو يجد النوبيين هو الآخرون غير راغبين في وجوده بجانبهم مما زاد في مصاعبه ، وحتم عليه إمكانية التحرك وتسوية مشاكله مع النوبيين أولاً ، ليتفرغ لربيعة ويفرض وجوده في منطقة الذهب بالعلاقي ، بعد ذلك ، ثانيا .

---

(٧٥) عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٦ ؛ MacMichael , *A History of the Arabs* , 1 : 166 .

(٧٦) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٧ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 52 .

التماس الحربي مع النوبيين

غضب العمري لما حل برجاله على يد النوبيين وأصبح عليه أن يقبل التحدي النوبي، فجمع رجاله وحلفاءه وأخبرهم بعزمه على محاربة مملكة مقرة، وأن الحرب هي السبيل الأقوم لتسوية المشكلة آنذاك، بعد أن رفض النوبيون عروضه السلمية، ولجأوا إلى قتل الأسرى الموجودين لديهم من رجاله. (٧٧)

سار العمري قدما لمقابلة النوبيين، حتى أنه أمر أن تضرب أدوات استخراج الذهب سيوفا لاستخدامها في حربه المقبلة معهم. وهذا يدل على أن الأمر خطير جدا. فبعد أن أعد العمري واستعد للأمر بكل طاقاته الممكنة والمتاحة مع حلفائه، سار بجموعه إلى بلاد النوبة مقاتلاً، بعد أن أخذ العهد على رجاله بالقتال حتى النهاية، وهذه هي صفات المغامرين.

اتجه العمري إلى النوبة عبر طريق طويل لا يتوقع النوبيون مهاجمتهم من خلاله، والطريق يتجه حيث انعطافة النيل على بعد شهرين من دنقلة عاصمة النوبيين، و هو طريق طويل، قصد العمري من المسير عبره مفاجأة النوبيين من حيث لم يتوقعوا الهجوم. (٧٨) وكانت المفاجأة مذهلة، فقد تمكن العمري من قتل وأسر الكثيرين من النوبيين الذين عجزوا عن الصمود لذهولهم من وصول العمري إليهم. وقد كانت الغنائم كثيرة والسبي لايقدر، فكان الشخص من قوات العمري يدفع رأسامن السبي مقابل حلق شعره مثلا أو يشتري بعدد من السبي حاجاته اليومية. (٧٩)

وإزاء هذا العمل لجأ النوبيون إلى الهرب بمراكبهم صوب الغرب، إلا أن العمري لجأ إلى نفخ قرب المياه التي يملكها أصحابه، وعبر بواسطتها النيل خلفهم وطارد فلولهم

---

(٧٧) المقريزي، *المقفى*، ملحق ١، عبدالجليل، *تاريخ وحضارات السودان*، ٤٦٧؛ البلوي، *سيرة أحمد بن طولون*، ٦٥، وذكر أن النوبة هم البادئون بالعدوان.

(٧٨) المقريزي، *المقفى*، ملحق ١، عبدالجليل، *تاريخ وحضارات السودان*، ٤٦٧؛ Holt, *A Modern History*, 17.

(٧٩) المقريزي، *المقفى*، ملحق ١، عبدالجليل، *تاريخ وحضارات السودان*، ٤٦٧ – ٤٦٨؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 52؛ البلوي، *سيرة أحمد بن طولون*، ٦٥.

المنهزمه ، وتمكن من تسجيل المزيد من الانتصارات على حسابهم ونال الكثير من السبي الجديد . وبعد ذلك أرسل العمري إلى أسوان يطلب من التجار الخروج إليه بالجهاز عن طريق المعدن ، فخرج إليه عدد لا بأس به ، منهم عثمان بن حنجلة التميمي فسر به كثيرا . و باختصار نقول ؛ لقد كثر الرقيق بأسوان من سبي النوبة ، حتى إن أكثر سراري البلد كانت منهم وعرفن بالمكيات لرخصهن .

ومن يمعن النظر في تلك الحرب يتأكد له أن النوبة ، رغم خسارتها سوف لن تسكت على الهزيمة التي منيت بها . ولا بد من أن تتواصل الحرب من جديد . وبالفعل ندب قيرقي بن زكريا بن يحنس (بهنس) ملك النوبة الأمير نيوتي بن قشما ، أحد شجعان النوبة ومغامريهم وابن أخته ليقود العمليات الحربية ضد العمري . (٨٠) وقيرقي هو الملك جورج الأول ملك النوبة ، وقد حرفه المقريزي .

وتروي المصادر أن الحرب قد اشتد أوارها بين نيوتي بن قشما ، والعمري في جهات النوبة ، وأنها كانت سجالاً بين الطرفين . ولكن كما يبدو فقد استطاع العمري أن يخرج منتصرا إلى حد ما ، حيث توصل إلى صلح أنهى مرحلة من مراحل النزاع والصراع بين الطرفين ، بالاتفاق على إيقاف العمليات العسكرية ، على أن تقسم المنطقة بينهما ، وأن لا يدعو نيوتي بن قشما ، النوبيين ، ويشجعهم ، ويحرضهم على قتال العمري وهذا في حد ذاته يعتبر نصرا للعمري على أية حال ، (٨١) إذ أصبح له أملاك نوبية معترف بها لأول مرة . والمتمعن يجزم بأن الصلح لن يكتب له النجاح ، لأن نيوتي تصرف برأيه الخاص ، دون أن يرجع إلى خاله الملك قيرقي . ومن البديهي أن قيرقي لا يمكنه التنازل عن أية مساحة نوبية للعمري ، والنزول عند رغبة ابن أخته نيوتي ، ويمضي صلحه مع العمري ،

---

(٨٠) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٨ ؛ خليفات ، *مملكة بني ربيعة* ، ٦٩ ، ٧٠ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 53; MacMichael, *A History of the Arabs*, 1:169 ؛ وقيرقي هو جورج بن زكريا بن يوحنا ملك النوبة (مقرة) ، وقد ذكره ابن حوقل باسم يركي ، انظر الحاشية (٣٩) .

(٨١) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٦٨ .

لأن إمضاءه للصلح ما هو إلا إهانة له ، سيما وأنه ملك البلاد والمسؤول في المملكة ، والواجب يفرض عليه القيام بأي عمل لطرد المعتدي . ويعود خلاف نيوتي بن قشما مع خاله قيرقي لأن الخال أخذ يفكر في تولية ولده العرش بدلاً من ابن أخته كاسرا قاعدة تولية العرش لابن الأخت حسب عرف النوبة .

ولكن مهما كان الأمر ، فإن قيرقي ندب ابنه الأكبر ، ليواصل حربه مع العمري ، عله يحقق ما عجز عنه ابن عمته نيوتي بن قشما ، إلا أن ذلك الابن أظهر عجزا واضحا عن تحقيق تلك المهمة الحربية من خلال ما أنزله به العمري من هزائم ، حتى أنه اضطره إلى اللجوء إلى مملكة علوة النوبية مدة أربع سنوات ، ومع أنه حصل على الدعم المادي والمعنوي من سادتها ، إلا أنه لم يستطع الصمود أمام العمري أواخر الأمر ، بشكل لافت للنظر ،[٨٢] وقد تمكن العمري من الحصول على المياه وسط خلاف النوبيين .

وإزاء هذا الوضع الجديد قبل قيرقي ملك مقرة النوبية ، بما أشار عليه به ابنه الآخر ، المدعو زكريا من ضرورة مهادنة العمري ، ومحاسبة ابن قشما الذي اعتبره السبب فيما حل بمملكة مقرة من خلافات وهزائم . واستطاع زكريا التأثير على والده وأخذ منه تفويضا بمهادنة العمري ، ثم اتصل بالعمري بعد ذلك ، ودعاه إلى عدم التدخل فيما سيحصل من صراع بينه وبين ابن قشما ، وأن يلتزم الحياد . ويرجع هذا التصرف من قبل زكريا ، لأنه اعتبر أن قتاله للعمري أمر أسهل من قتاله نيوتي بن قشما العدو القريب والذي يمكن أن يؤثر على زكريا بتأليب النوبيين ضده فقرر قتاله قبل قتال العمري .

وفرح العمري بهذا العرض لأن الحرب ستكون في محصلتها في النهاية دمارا على كل من ابن قشما وزكريا بن قيرقي ، لأنها ستضعفهما معا مهما كانت النتائج ؛ لذا أسرع العمري إلى إعلان استجابته لدعوة زكريا ، وترك الصراع يدور بين أعدائه جميعهم . واعتبرها فرصة لالتقاط الأنفاس وللاستعداد لحرب قادمة .

دارت الحرب بين ابن قشما وزكريا حامية الوطيس ، ولكنها لم تطل طويلا ، حيث أسفرت عن هزيمة زكريا وفراره إلى الشرق عبر النيل ناجياً بروحه من القتل [٨٣] مع غلامين

---

(٨٢) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٥٩ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 53 .

(٨٣) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٥٩ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 53 .

من غلمانه . وهذا في حد ذاته سيطرة لابن قشما وهزيمة لزكريا ووالده قيرقي ، وفي النهاية نصر للعمري ، لأن قوات ابن قشما كانت قد أنهكت قواها ، وفقدت الكثير من إمكاناتها .

ولكن ماذا سيفعل المنهزم الآن يا ترى ؟ أيعود إلى مصالحة ابن عمته ، ابن قشما من جديد ، ويكظم غيظه ، ويحاول إصلاح ما فسد بينهما ؟ ولكن ابن قشما بعد أن اشتعلت الحرب بينهما فإنه لن يعود إلى مصالحة زكريا المنهزم ، لأنه أعلن الحرب عليه ، وأجبره على حربه . أم أن زكريا سيلتجيء إلى العمري الأقل عداوة له آنذاك من ابن قشما ؟ إلا أنه عدوه وعدو ابن قشما في نهاية الأمر .

إن المتمعن في مجريات الأمور آنذاك ، يدرك أن الالتجاء إلى العمري أفضل بكثير لأنه من المرجح أنه لن يقتله ، بل من الممكن أن ينسق معه ضد ابن قشما . وهذا ما حصل بالفعل فقد التجأ زكريا إلى العمري برضى من والده فأمنه . (٨٤) ولما اجتمعا أطلع العمري على مجمل ظروفه ، وكل ملابسات أوضاعه وحربه مع ابن قشما ، وعمل على التنسيق معه وعوضه الكثير من خسائره ، ووثق كل منهما بالآخر ، وبخاصة عندما أطلع زكريا العمري على دفائن ودفاتر للنوبيين كان والده قيرقي قد خبأها أثناء حربه مع العمري ، مما مهد الطريق إلى تحالفهما ضد ابن قشما ، (٨٥) لأن لكل منهما مصلحة في ذلك .

العمري وزكريا

لما توطدت علاقات زكريا بالعمري ، طلب منه المعونة كي يعاود حربه مع ابن قشما من جديد ، وأخبره بأنه يرغب أن يعملا سوية ضد عدوهما المشترك ، للخلاص منه ، مما يريح الطرفين ، و يوطد العلاقات بينهما فيما بعد ، بنسبة أكبر . وكان زكريا كثيرا ما يثير حفيظة العمري ضد ابن قشما قائلاً : « عدوي وعدوك ، وإن أظفرني الله به ، رجعت

---

(٨٤) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٠ ، وقال : اتصل زكريا بالعمري على أنه غلام لزكريا ، فلما حصل على الأمان من العمري واطمأن إليه ووثق منه ، كشف عن هويته وأنه زكريا فسر به العمري كثيرا .

(٨٥) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٠ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan* , 53 .

النوبة إلى طاعتي ، واجتمعت إلي ، فصرت بهم إليك ، وتصرفت عن أمرك في الأعاجم وما بعد منك ، وما بيدك يكون بحاله . وأزوجك من أختي زوجة ابن قشما (ابن عمته) ، بعد قتله ، لأن أبي شيخ كبير ، قد كبرت سنه . »[٨٦]

وكان العمري في بادىء الأمر لا يثق بزكريا تمام الثقة ، فلم ترقه فكرته ، إلا أن إلحاح زكريا على العمري جعله آخر الأمر يوافق على طلب زكريا ، ويقدم له المساعدة ضد ابن قشما . وكان أن رد عليه : « لو كان هذا الذي تطلبه من قتل ابن قشما لك خاصة ، لساعدتك عليه لقصدك لي وركونك إلي ، ولكونك في جملتي ، فكيف ، وهذه إرادتي وصلاح شأني ، فأنى لي بالذي تذكره (عن ابن قشما) مع شجاعته وكثرة من معه؟ »[٨٧]

وأما زكريا فكان متحمسا جدا لفكرته ، فذكر للعمري أنه لا بد من استعمال الحيلة أمام قوة ابن قشما فوثق العمري به ، وحرضه على إضعاف ابن قشما والخلاص منه ، وفوض الأمر إليه قائلاً : « اعمل ما بدا لك . »

إن هذا التفويض قد شجع زكريا على العمل ، وأطلق يده في اختيار الوسيلة التي سيقاوم بها ابن قشما ، فاختار أربعة من أشجع رجال العمري ، وكانوا قد أرسلوا في سفارة لابن قشما ، ويعرفون مداخل مركزه وشيئا من قوته ، والطرق الموصلة إليه ، وممن تبادل الثقة معهم . وسار زكريا معهم يريد ابن قشما لغدره والإيقاع به ، والخلاص منه ، على متن أحد الزوارق ، وأوصاهم بحسن التصرف ، ومناهم بالأموال والهدايا ، إن هم نجحوا في مهمتهم ، وقتلوا ابن قشما ، « إن قتلتم ابن قشما ، أعطيكم وزنه ذهبا لكل رجل منكم . »[٨٨] ومن ينظر إلى مقدار المكافأة يدرك مدى تصميم زكريا على الخلاص من ابن قشما ، الذي أذله وهزمه والذي اعتبره مصدرا رئيسيا للخلاف النوبي الداخلي على العرش وغيره ، ويتأكد من خطورة ابن قشما على مستقبل زكريا . ولكن ما موقف العمري ، هل يسير إلى النهاية ويترك رجاله يتخلصون من ابن قشما لحساب زكريا بن قيرقي ، صاحب الملك ، بعد والده في مملكة مقرة النوبية ، أم أنه سيرفض هذا الأمر ؟ وقد

---

(٨٦) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٠ .

(٨٧) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦١ .

(٨٨) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦١ .

فكر العمري جيدا في الأمر ، وتوصل إلى ضرورة الإستمرار في مساعدة زكريا ، لأن القضاء على ابن قشما سيثير أتباعه ضد زكريا ويبقي الخلاف مستعرا بين الطرفين ، وفي هذا إضعاف لقوتهما لحساب العمري .

والمهم ، سار الزورق نحو ابن قشما ، وطلب زكريا من رجال العمري أن يقف الزورق ، حيث يسمعهم ابن قشما ، لأنهم يودون التحدث إليه ، وإبلاغه رسالة من العمري ، ومما قالوه : « إن الشيخ الصالح (العمري) ، يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن الله قد أمكن من عدوي وعدوك ، وإني قد راسلتك في أمره ، جوابا عن رسالتك ، تسأل أن أسلمه إليك ، وتعطيني من المال كذا ومن الرقيق كذا ، وقد وجهت بذلك مع فلان وفلان ، إذ كانوا ثقاتي ، وأنت تأنس إليهم ، فقرر الأمر معهم ، وخله إليك ، وادفع إلى القوم ما توافقهم عليه ، وعلى أن يكون بيننا من الشرط كذا وكذا [٨٩] فقال قد رضيت . »

وكان الاتفاق قد تم بين زكريا ورجال العمري على أن يتظاهروا بأنهم يريدون مبلغا من المال ، مقابل تسليم زكريا إلى ابن قشما ، وعليهم الاتفاق مع ابن قشما على المبلغ ، وعندما تجري مراسيم التسليم ، يبكي زكريا في الوقت المناسب ، فيهجم رجال العمري الموجودون في الزورق على ابن قشما ، ويتخلصون منه ، وبخاصة وأن عليهم إظهار الأمن له ، حتى لا يكثر من الرجال معه .

ويؤكد لنا المقريزي أن ابن قشما وافق على عرض رجال العمري ، وذكر لهم المقدار الذي يمكنه دفعه ، فلما أعلموا زكريا ، وكان معهم في القارب كما ذكرنا سابقا ، طلب منهم أن يمتنعوا عن القبول ، حتى يزيد ابن قشما المبلغ ، فاضطر ابن قشما إلى زيادة المبلغ ، أمام امتناعهم ، حتى قبلوا مبلغا ، وافقهم عليه زكريا . [٩٠]

وتم الاتفاق بين رجال العمري الموجودين في الزورق وابن قشما على إجراء التسلم والتسليم ، وقد اشترط ابن قشما أن يرى زكريا قبل إجراء العملية ، دفعا لما كان قد ساوره من الشكوك بوجود حيلة ضده . وتقرر أن ينزل ابن قشما إلى القارب ليتسلم زكريا محمولاً

---

(٨٩) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، الشاطر بصيلي ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٧٠ .

(٩٠) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦١ .

واصطحب معه جماعة من رجاله ، إلا أن رجال العمري الأربعة هونوا على ابن قشما الأمر وحاولوا دفع ما يساوره من شك قائلين : نحن رجال أربعة فماذا عسانا نفعل فاقتنع ابن قشما وقرر النزول بمفرده إلى الزورق مع جماعة قليلة تبقى مرابطة في الجزيرة الموجودة في النيل حيث كان يقيم . ووضع كرسي لزكريا ، وأمر رجاله أن يحملوه ويلقوه بين يدي ابن قشما ، وأخذ ابن قشما ينقف رأس زكريا بقضيب من ذهب ، وحمد الله على أن أمكنه منه فرد زكريا قائلاً : « يا عم قد قدرت فاعف عني وأحسن الظفر ، فإن هؤلاء المسلمين غدروا بي ورغبوا إلى العوض . »[٩١] ولكن ابن قشما أخذ يعدد لزكريا ما استقبحه منه ، وزكريا يعتذر عن كل عمل قبيح دون جدوى . ولما رأى زكريا ذلك من ابن قشما ، بكى فأسرع جماعته حسب اتفاقهم معه إلى ابن قشما وقتلوه ، وفكوا قيد زكريا الذي توجه فورا إلى معسكر ابن قشما ، واجتمع بكبار القادة ، بعد أن أعلن عفوه عنهم ، وأخبرهم أنه تجاوز عن خطئهم بالانضمام إلى ابن قشما ، وعصيان أوامر قيرقي ملك النوبة الشرعي . وهنا استطاع زكريا استمالة عدد لا بأس به منهم إلى صفوفه ، مما ضمن له فرض سيطرته على الجميع ، فيما بعد .

وهنا لجأ زكريا إلى الاتفاق مع من انضم إليه من رجال ابن قشما للعمل ضد العمري ، وبدأ برجاله الأربعة الموجودين معه في الزورق ، فاستدعاهم بعد ذلك إلى معسكر ابن قشما وبالغ في إكرامهم ، وسار بهم مع كبار رجال ابن قشما إلى أخته ، زوجة ابن قشما وأخبرها أنه يريد أن يزوجها من العمري برغبته ، ونقدها مهرها عنه ، وأمر الرجال الأربعة أن يخبروا العمري بما تم . وكتب زكريا بنفسه رسالة إلى العمري بهذا الخصوص ، وطلب منه إعداد مكان خاص له ولوجوه عسكره ، عندما يحضر إليه العروس ، مع تجهيز الهدايا والخلع المناسبة .[٩٢] ولكي يطمئن قلب العمري ، كان موفد زكريا إليه ، أحد غلمان الرجال الأربعة ، الذين هم من أتباع العمري ومع زكريا . وما كادت الرسالة تصل إلى العمري حتى سر كثيرا ، واعتقد أن زواجه هذا ، سيتيح له فرصة تحقيق مكاسب جمة له ،

---

(٩١) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٢ .

(٩٢) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٢ .

عجز عن تحقيقها بالقوة أثناء حربه مع قيرقي من قبل ، وأخذ يستعد لاستقبال زكريا والعروس .

وهكذا اطمأن زكريا إلى أن العمري سينخدع بما أخبره به ، وأنه بات ينتظر قدومه مع عروسه المرتقبة ، فعمد إلى رجال العمري الأربعة وقتلهم ، هو ومن اتفق معهم من رجال ابن قشما ، وتوجه بعدها إلى مواقع العمري بقواته ، في حين كان العمري قد لجأ إلى الهدوء والسكينة .

وظل العمري غارقا بأحلامه ، ولما قرب زكريا من مواقع العمري ، قام جماعة وأخبروا العمري بأن زكريا مهما يكن عدو لدود ، وأنه لا ينسى هزيمة والده ، وسيسعى إلى الثأر ، بكل ما أوتي من قوة ، إلا أن العمري لم يكن مستعدا لسماع مثل هذه الأخبار وظل هادئا ، وطمأن من قال له بغدر زكريا ، وأقنعهم بأنه حليف مخلص ، وأن قدومه متفق عليه .(٩٣)

وكل هذه الظروف شكلت عوامل إيجابية في جانب زكريا ، ودفعته إلى أن يفاجئ العمري بالهجوم إلى مواقعه في غفلة منه ومن رجاله ، فنال منهم قتلاً وأسرا وسبيا ، الأمر الذي ترتب عليه هروب العمري مع عدد من أصحابه تاركين سلاحهم وأمتعتهم وأموالهم ، وكان قد انحدر قسم منهم إلى مراكب في النيل ليكونوا في مأمن . فما كان من زكريا إلا أن أرسل يطمئن الهاربين ، وأعلن لهم أنه يعطف على مصلحتهم ، وأنه على استعداد لإيصالهم إلى مراكز أكثر أمنا ، وأنه اتفق مع العمري على ذلك فانخدعوا ، واستطاع الدليل أن يغرر بهم ، ويوصلهم إلى منطقة كثيرة الجنادل ، ويتركهم لمصيرهم ويهرب ، مما أهلك معظمهم ، وزاد في حجم الخسارة العمرية .(٩٤)

وهنا يمكننا القول إن زكريا قد كسب هذه الجولة ضد العمري بالخديعة والمكر ، وبما مناه به من زواجه بأخته . وكل هذا وغيره قد زاد في حجم الخسارة العمرية ، وعمق الجرح . غير أن العمري استطاع لم شمل جيوشه من جديد ونال من النوبيين على الرغم من خسارته .

---

(٩٣) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٧٢ .

(٩٤) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٣ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 53 .

ثم أراد زكريا أن يخدع العمري من جديد ، فكتب إليه أنه فعل ما فعل في سبيل الحصول على الأموال الضرورية له والمحافظة على مملكة النوبيين ، وأنه نادم على ذلك ، ولن يعود إلى محاربته في المستقبل ، على شرط أن يخرج العمري من أرض النوبة . وهذا يدلنا بوضوح على أن هم زكريا كان تحرير أرضه بأي ثمن ، وتحت أي شعار .

وكان العمري كما يبدو ، قد بات مقتنعا من غدر زكريا ، فماطله مدة سنة كاملة ، حيث حصل ما لم يكن في الحسبان ، إذ ثار الخلاف بين العسكر الشامي ، وهم من سعد العشيرة ، وبين قيس عيلان ، في جيش العمري . ثم تفاقم الموقف عندما اتهم الشاميون العمري بالانحياز إلى قيس عيلان ومناصرتهم زورا وبهتانا ، ومعنى هذا ، إضعاف جبهة العمري في حربه مع النوبة ، وللحق نقول ، إن هذا الخلاف وما تبعه من تعقيدات ، قد شكل عقبة كبرى وقفت أمام اندفاع العمري في إقامة إمارة عربية قوية .

ومن حسن حظ زكريا ، وقوع هذا الخلاف ، فإنه أسرع لاستغلاله لصالحه ، فراسل الشاميين الغاضبين على العمري ، داعيا إياهم إلى التحالف ، والعمل ضده ، وأعلن لهم أنه على استعداد أن يعوضهم عن كل ما خسروه ، وما يريدونه من أموال ، الأمر الذي دفعهم بالتالي إلى الموافقة على طلبه . (٩٥)

وهنا أيضا نقول كان على الشاميين ، أن يتفهموا الوضع بطريقة أفضل ، لأن منطق الأحداث يقول إن زكريا يسعى لتحرير أرضه بكل الوسائل ، وأن أي اختلال في الجبهة العمرية معناه الدعم الأكيد لمشاريع زكريا ، وبالتالي يشكل خسارة أكيدة لهم ، ولغيرهم من العرب الآخرين . ولكنهم ساروا وراء اتهامهم العمري بالانحياز إلى جانب قيس عيلان ، فانحازوا إلى جانب زكريا ، ضد ابن جلدتهم العمري . ووضعوا بتصرفهم هذا إسفينا في جسم الجيش العمري .

والمهم في الأمر ، وجد الشاميون بانحيازهم إلى زكريا متنفسا لهم من ظلم قيس عيلان والعمري ، كما كانوا يظنون ، ووفى لهم زكريا بما وعدهم به ، وأقطعهم أراضي دون الجنادل الأولى من أرض مريس من ناحية ديدان وأدوي وما يليها ، فزادت ثقتهم به

---

(٩٥) المقريزي ، *المقفى* ، ملحق ١ ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٧٣ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٥ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 53 .

وركنوا إليه ، الأمر الذي أخاف العمري ، وجعله يترك أرض النوبة ، ويعود إلى أرض المعدن ، على بعد ثلاث مراحل من النيل . (٩٦)

ولكن كل ما حدث ، ما كان ليثني العمري عن عزمه في التسيد في تلك الجهات ، فاشتغل رجاله باستخراج المعادن استعدادا لجولة جديدة ، ضد النوبيين ، ثم قام بتوجيه ضربات موجعة لهم حقق من خلالها مزيدا من المكاسب على حسابهم . ثم أرسل إلى الشاميين يدعوهم لتناسي الخلافات ويمنيهم بعودة المياه إلى مجاريها السابقة ، فأطاعوه وأقبلوا عليه من جديد ، ربما لأنهم تأكدوا من أن انضمامهم إلى زكريا لن يعود عليهم بالخير ، وإن الخير بالعودة إلى صفوف العمري المسلم ، وإن البقاء في جانب النوبيين أمر لا يطاق ولا تقره الشريعة الإسلامية .

ولنا أن نتساءل هل سيغفر العمري للشاميين خطأهم ، وينسى انضمامهم إلى جانب زكريا يا ترى؟ أم أنه سيوقع بينهم ؟ وللإجابة نقول إن العمري كان بإمكانه أن يهادن الشاميين ويقبل عودتهم بروح طيبة ، وبخاصة أن ظرفه كان يحتم عليه التقوي بهم وتآلف قلوبهم . لكنه لجأ إلى الانتقام منهم ، واعتبر أن ما حل به من هزيمة كان بسببهم وما خروجه من معظم أراضي النوبة ، إلا لأنهم خذلوه في وقت الشدة ، وتخلوا عنه ، فأراد أن يوقع بهم وينتقم منهم ، جزاء وفاقا، لطعنهم إياه والتحالف مع زكريا النوبي ، فقام واستعمل أقصى أنواع الشدة معهم ، وقتل منهم حوالي ألفا وخمسمائة مقاتل ، وقبض على من بقي حيا وقطع أيديهم ، وأرجلهم ، وتركهم ، حتى ماتوا . (٩٧)

أقام العمري على أطراف بلاد النوبة ، الأمر الذي اعتبره زكريا استمرارا للعدوان ،

---

(٩٦) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٤ ، وذكر في هامش (١) أن ديدان ، لعلها أدنان حاليا، مع بعض التحريف . وفي هامش (٢) أن أدوي ، لعلها Adda ، وهي عند سفح تل منعزل قريب من النهر يقوم عليه حصن يشبه حصن إبريم ضخامة وشكلاً ، وقلعة ادا قريبة من بلدة بلانة؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٥ ؛ Hassan. *The Arabs and the Sudan*. 53 . وقد ذكر اسم ديدان بالإنجليزية Adandan واسم أدوي Daw .

(٩٧) المقريزي ، *المقفى* ، عبدالجليل ، *تاريخ وحضارات السودان* ، ٤٧٣ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٥ .

ضد أراضيه النوبية ، فشق عليه ذلك ، وقرر طرده بالقوة ، فتقدمت قواته لمنازلته ، إلا أن العمري قرر الهرب ، خوفا من الخسارة الجديدة المحتملة . ولكن يبدو أن قوة العمري قد بدأت بالضعف بعد خسارته للشاميين ، فآثر العودة إلى أسوان ، ونزل في قرية أرطلما ووقف زكريا على مقربة منه . وبهذا يكون زكريا بصبره وخداعه وصفاء ذهنه ، وجلاء بصيرته ، وحسن استغلاله للظروف ، وتوظيفها لصالحه ، قد حرر أرضه ، وأعاد وحدة مملكة مقرة النوبية من جديد ، في حين خسر العمري معركته مع النوبة . (٩٨)

طبيعة علاقة العمري بأحمد بن طولون

خرج العمري كمغامر سعيا وراء الحصول على الذهب ، وإن كان قد أعلن أن خروجه في سبيل رد العدوان عن المسلمين في جهات جنوب مصر من قبل البجة والنوبة . الأمر الذي جعل ابن طولون يسكت عنه أول الأمر ، غير أن تحركات العمري في جهات النوبة ، وبلاد البجة وما حققه في تلك الجهات من نصر قد أثارت حفيظة ابن طولون في مصر ، وبات يعتبره خطرا عليه تجب مقاومته ، قال اليعقوبي : (٩٩) « وفي هذه السنة (٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ - ٨٧١ م) بدأ أمر المعروف بأبي عبد الرحمن العمري ، وأظهر رأسه لمحاربة أصحاب السلطان ، ولقي شعبة بن حركان صاحب أحمد بن طولون فحاربه بأسوان . »

والملاحظ أن مقاومة ابن طولون لم تتضح إلا بعد أن أصبح العمري خطرا حقيقيا على وجوده . وبرز دوره في أرض المعدن كقوة فاعلة ، بعد أن أخضع البجة وحارب النوبة وحقق النصر عليهم . وكان ابن طولون قد تأكد أن قوة العمري في أرض المعادن بالعلاقي لا تعني إلا منع تسرب الذهب إليه في مصر ، وبالتالي تظهر عجزه عن تحقيق مشاريعه .

---

(٩٨) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ص ٣٦٤ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٥، وذكر محاربة العمري لقوات النوبة باختصار شديد ؛ Holt, *A Modern History*, 17; Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 54. ؛ وذكر أن العمري عسكر في أرطلا Artala على مرحلة من أسوان .

(٩٩) اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، ٢ : ٥٠٩ .

لكل هذا تحرك ابن طولون للوقوف في وجه العمري وقوته المتنامية يوما بعد يوم ، كي يضمن النجاح لمشاريعه في مصر ، على قاعدة اقتصادية صلبة ، وإلهاء الخليفة بشيء من المال ، الذي يجب أن يبقى متدفقا على مصر ، من أرض الذهب في العلاقي ، حيث يسيطر العمري .[١٠٠]

ذكر مؤرخ النوبة وأسوان ، عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني[١٠١] أن أبا عبد الرحمن ، لما عاد من جهات النوبة ، بعد حروبه هناك ، إلى البجة كثرت العمارة في تلك النواحي ، حتى صارت الدواب التي تحمل الميرة من أسوان إلى البجة تقدر بالآلاف ، وقيل بلغت ستين ألفا ، تجلب المؤن إلى أرض المعدن حيث يقيم البجة ، هذا غير المراكب البحرية التي تحمل المؤن من ميناء القلزم على بحر القلزم (الأحمر) إلى عيذاب ، ومنها برا إلى العلاقي ، أرض الذهب ، والبجة ، وتجمعات القبائل العربية التي بلغت ذروتها .

ولاشك في أن هذا الازدهار في ظل تنفذ العمري ، يعتبر من أهم العوامل ، التي دفعت بابن طولون لإرسال الجيش إليه ، لمقاومته في أرض الذهب في العلاقي ، واعتباره خارجا على إرادته ، ولا عبرة لما تقوله المصادر من أن ابن طولون ندم على قتل العمري بعد ذلك ، على اعتباره مجاهدا في سبيل الله ، في أرض البجة وجهاتها .

ومن هنا نقول إن طبيعة العلاقات بين ابن طولون والعمري لم تكن منسجمة ، وأن ابن طولون لم يكن يطمئن إلى وجود العمري في أرض الذهب ، لأن وجوده يشكل عقبة في سبيل تحقيق مشاريعه ، ويحرم الخلافة من مورد مالي مؤكد ، ويساعده في إقامة إمارة له هناك . وما أسفه على مقتله ، وقتل قاتليه ، إلا من باب ذر الرماد في العيون .

الصدام بين ابن طولون والعمري

وانطلاقا من كل ما سبق ، أرسل ابن طولون جيشا بقيادة شعبة بن حركام (حركان)

---

(١٠٠) ابن حزم ، *جمهرة أنساب العرب* ، ١٥٢ - ١٥٣ ، وذكر ثورة العمري في الصعيد باختصار .

(١٠١) المقريزي ، *الخطط* ، ١ : ١٩٩ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 54 ؛ الأسواني ، *أخبار النوبة* ، المكتبة السودانية ، ١١٣ .

البابكي ، لقتال العمري في جهات الصعيد .[١٠٢] وكان العمري آنذاك في أرض أسوان ، منذ هزيمته أمام زكريا بن قيرقي ملك النوبة ، والذي كان معسكرا أمام العمري ، فأصبح موقف العمري حرجا ، وأصبح بين عدوين يرومان القضاء عليه ، فماذا عساه فاعلاً ؟

لجأ العمري إلى التفاهم مع شعبة بن حركام ، وطلب من جماعته عدم الاصطدام معه ، ليعطي مفاوضاته معه شيئا من النجاح ، وخاطب جماعته قائلاً إن شعبة بن حركام البابكي رجل أعجمي ، وأنا أعرف كيف أخاطبه ، وخرج من بينهم إلى جهته ، وطلب من أحد رجاله الإذن له بمقابلته ، فلما التقى به قال : « إن ابن طولون لا يعرف خبري ، لا شك ، على حقيقته ، فإني لم أخرج للفساد ، ولم يتأدَّ بي مسلم ، ولا ذمي ، وإنما خرجت طلبا للجهاد ، فاكتب إلى الأمير أحمد ، عرفه كيف حالي . »[١٠٣]

وليطمئن العمري شعبة البابكي ، وأنهى كلامه له قائلاً : « فاكفف يدك عن القتال ، حتى أكتب إلى الأمير ، أعزه الله ، واكشف له خبري ، وتكتب أنت أيضا ، فإن قبل عذري ولم تثقل عليه وطأتي وأمن جانبي ، كتب إليك بالكف ، والانصراف عني ، فانصرفت معذورا مشكورا . وإن أمرك غير ذلك امتثلت أمره غير ملوم . »[١٠٤]

وهذا الرد من العمري ، يدل على ذكاء آنذاك ، ويشير إلى حسن مناورته في الأوقات الصعبة ، فهو و إن كان مجاهدا كما أعلن ، فإن تجنب حربه مع جيش شعبة بن حركام فيه شيء كثير من كسب الوقت له ، فهو لا شك سيكسب ثقة ابن طولون ، وربما معونته ، وبالتالي رضى الخلافة والمسيطرين عليها من الأتراك . وأما إن كان ثائرا من باب آخر ، فإنه سيكسب الوقت في ترتيب نفسه ، والإفلات من الاصطدام بجيش مصر ، وبالتالي تحسين وضعه العسكري أمام جيوش زكريا النوبي ، العدو الشرس ، والواقف على مقربة منه . ثم إنه لو انهزم بعد صدام مع جيش ابن حركام ، فإن مثل هذا الانهزام

---

(١٠٢) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٤ ؛ ابن خلدون ، *ديوان المبتدأ والخبر* ، ٤ : ٣٠٢ ، وذكر أن اسم قائد ابن طولون هو : صباح بن حركام .

(١٠٣) البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٦ ؛ ابن الأثير ، *الكامل في التاريخ* ، ٧ : ٢٦٤ .

(١٠٤) ابن الأثير ، *الكامل* ، ٧ : ٢٦٤ ؛ البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٦ .

سيطمع زكريا ، ويدعوه إلى منازلته ، وهو في وضع لا يحسد عليه ، فبكل المقادير ، تعتبر محاولة العمري هذه ضربا من ضروب الدهاء والدبلوماسية .

ولكن المهم في الأمر أن يستجيب شعبة بن حركام لطلب العمري ، ويكتب لابن طولون ، ويكف عن القتال ، فهل يفعلها يا ترى ؟ إن المصادر الموجودة تشير إلى أنه لم يلتفت إلى طلب العمري ، وأعلن له أنه قادم من قبل ابن طولون لحربه ، وإن كل ما يمكنه فعله الحرب ، أو الاستسلام إليه ، إذا ما أراد اختصار الوقت وتوفير المزيد من الخسائر البشرية والمادية ، لأنه في عرف سيده ابن طولون ثائر على سلطته ، فلا بد من ردعه ، فكان رده سلبيا ، الأمر الذي أغضب العمري ، وجعله يخاطبه بقوله : [١٠٥] « ما أنت بحمد الله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه ، وما هذا الفعل السيء ، والخلق القبيح إلا لمن هو كذلك . » ولكن العمري كان يود أن لا تقع الحرب مع شعبة ، وزكريا النوبي يود قتاله من جهة أخرى ، فعرض على شعبة عرضا جديدا بأن يسمح له بالعودة إلى أسوان ، ليقدم له الرهائن من لدنه ، كدليل على حسن نيته ، إلا أن شعبة رفض كل عروض العمري ، وصمم على حربه أو استسلامه ، فتحرج موقف العمري ، وأصبح عليه أن يتحرك في هذه الظروف الصعبة ، بما أوتي من قوة ، وما تمتع به من خبرة في ميدان القتال ، فقسم جيشه إلى شطرين : شطر وقف أمام النوبيين ، ليحول دون غدرهم وطعنه من الخلف ، أثناء قتال شعبة ، وشطر بقيادته ليقف أمام شعبة مقاتلاً .

حصل الصدام ، واستطاع العمري أن يسجل نصرا مؤزرا على قوات شعبة دون كبير عناء ، ويضطره إلى الهرب بمن نجا معه من قوات . وهذا التصرف من قبل العمري أعجب زكريا وقواته النوبية وجعله يمدح العمري ويصفه بالشجاعة والمغامرة ، فقال إني ما رأيت من يقف لألف رجل إلا رجلين ، العمري ، وابن قشما النوبي ، وقد رأيت الثالث يعني شعبة على وجهه إلى الفسطاط . وهذه شهادة من عدو لها قيمتها ومدلولها ، وتدل على أن زكريا ما أحجم عن استغلال الموقف ، إلا لعلمه بشجاعة العمري ، وقد خبره في السلم والحرب مغامرا شجاعا .

---

(١٠٥) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٥ ؛ البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٧ .

سار شعبة بن حركام في طريقه هاربا منهزما إلى الفسطاط ، حيث ابن طولون لينقل إليه صورة الحدث جلية واضحة ، إلا أن ابن طولون لما وقف على صورة ما حدث ، قال لشعبة : « لقد بغيت على العمري ، فنصره الله . » وهذا يشير إلى أن ابن طولون كان يضمر الود للعمري ، فلو كان الأمر كذلك فلماذا أرسل له قوات تحاربه ؟ وما دام قد أرسل له القوات لتحاربه فلم يجد سوى الخوف منه ومن قوته ، كتعليل يقف وراء ما قاله لشعبة . ولذا آثر ترك العمري وشأنه مؤقتا لأنه لم يكن في استطاعته النيل منه ، وأنه أعجز من أن يحرز تقدما في هذا الميدان ضده .

تقدم العمري بعد الانتصار على شعبة إلى قرية بحري أسوان (أدفو) ، وعبر منها إلى الشرق إلى أرض المعدن . (١٠٦) ولنا أن نتساءل ، ما دام العمري قد انتصر على قوات ابن طولون ، وما دام قد بات مقتنعا من عداوة ابن طولون له ، فلماذا لم يلجأ إلى استغلال نصره ، ويحقق له المكاسب الجديدة ، على حساب ابن طولون ؟

ونجيب عن هذا السؤال ، متلمسين الأسباب التي حالت دون قيام العمري بتحقيق المكاسب على حساب ابن طولون فنقول :

أولاً : لم يكن العمري جادا بإغضاب ابن طولون ، لأنه لم يكن واقفا على أرضية صلبة في أرض المعدن ، فهناك قبائل ربيعة وهناك البجة ، وهناك أهل النوبة ، وكلهم لا ينظرون إليه بارتياح ، لذا نقول إنه اكتفى بما حققه آنذاك من إثبات الوجود للجميع ، وفرض وجوده عليهم بالقوة . ثم أن ابن طولون لم يكن قد استخدم كل إمكاناته ضده فركن إلى الهدوء .

ثانيا : كان العمري يدرك أن القبائل العربية ، التي تساند مشروعه ، لن تستمر معه إلى النهاية في صراعه ضد ابن طولون ، وكذلك القبائل التي كانت قد دخلت معه في صراع مكشوف .

ثالثا : خوف العمري من طمع النوبيين فيه ، لو هزم أمام جيش ابن طولون ، أو ربما خاف من انضمام البجة للنوبيين ، مما يوقع الخسارة بين صفوفه بشكل مؤكد .

---

(١٠٦) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٥ ؛ اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، ٢ : ٥٠٩ ، وذكر انتصار العمري على شعبة بن حركان وليس ابن حركام .

رابعا : لقد فكر العمري ، ما دام قد هزم قوات ابن طولون في تلك المرحلة ، فهو لا يريد أكثر من هذا في تلك الأثناء ، سيما وأنه قد أصبح شخصية لها حسابها في الأرض ، التي تزخر بالذهب ، بمعنى أن المقوم الاقتصادي لإمارته المستقبلية قد وجد ، وما تبقى من ظروف يمكنه العمل على توفيرها بسهولة ويسر ، لذا فالواجب عليه أن يهادن ابن طولون ، بل ويشعره أنه من أتباعه ، ويعمل لتقوية النفوذ الإسلامي في أرض البجة وما يجاورها .

وتروي لنا المصادر الموجودة ، [١٠٧] أن العمري كان قد أسهم جديا في القضاء على عدو لدود لابن طولون ، هو ابن الصوفي العلوي ، وهذا يعني في أحد جوانبه أنه لم يكن راغبا في معاداة ابن طولون ، ليترك لنفسه حرية الحركة والمراوحة السياسية ، سيما وأنه أصبح معترفا بقوته في أرض المعدن بالعلاقي .

العمري وابن الصوفي الثائر في الصعيد

يعرف ابن الصوفي بإبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، وكان قد ثار عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م ، ودخل أسنا في ذي القعدة من عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٨ - ٨٦٩م ، فنهبها وقتل وسبى ، وغنم الأموال والعتاد ، الأمر الذي جعل ابن طولون يرسل له الجيوش ، للتخلص منه ، بقيادة ابن إزداد ، الذي قاتله بعنف ، في ٥ ربيع أول ، من عام ٢٥٦هـ/ ١٠ فبراير ٨٧٠م ، وقد أسفر اللقاء عن هزيمة ابن إزداد ، وقتله وصلبه .

وهنا غضب ابن طولون لما حل بقواته ، وأرسل جيشا جديدا ، يقوده بهم ابن الحسين ، وأردفه بابن عجيف ، وسار الاثنان معا فوصلا الصعيد في ١٩ ربيع الأول عام ٢٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ٨٧٠ م . وكان اللقاء في أخميم في ٣ ربيع الآخر ، ١٠ مارس ٨٧٠م ، والذي أسفر عن هزيمة ابن الصوفي إلى جهة الواحات الغربية ، حيث بقي مختبئا حوالي العامين . [١٠٨] وفي المحرم من عام ٢٥٩هـ/ نوفمبر ٨٧٢ م ، خرج ابن الصوفي من جديد في جهات الأشمونين ، فاضطر ابن طولون ، بعد أن كان قد وطد أقدامه في أرض

(١٠٧) الكندي ، *ولاة مصر* ، ٢٤٠ - ٢٤١ .

(١٠٨) اليعقوبي ، *تاريخ اليعقوبي* ، ٢ : ٥٠٦ ؛ البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٤ ، وذكره بابن أبي المغيث .

مصر ، إلى إرسال جيش قوي بقيادة أبي المغيث ، لتصفية الحساب معه ، إلا أن أبا المغيث ، وجد أن ابن الصوفي قد سار إلى جهات أسوان .[١٠٩]

وكان مسير ابن الصوفي إلى أسوان عام (٢٦٠هـ/ ٨٧٣ م) ، لقتال أبي عبد الرحمن العمري الموجود آنذاك في تلك الجهات ، وعندما حصل اللقاء بين الطرفين كانت نتيجته النصر المؤزر للعمري بعد أن تكبد ابن الصوفي الخسائر الفادحة . وهذا يعني أن العمري قد كسب حربه ضد ابن الصوفي ، وأكد تفوقه في أسوان وجهاتها ، وأراح ابن طولون من عدو شرس في صعيد مصر . وبعد ذلك دخل ابن الصوفي مدينة أسوان ، بعد هزيمته وعاث فيها نهبا وسلبا ، فقتل الكثيرين ، وقطع أشجارا كثيرة جدا ، حتى أنها قدرت بـ ٣٠٠ ألف شجرة نخيل .

وهنا اعتبر ابن طولون نفسه مقتصرا في تعامله مع ابن الصوفي ، فأرسل جيشا جديدا بقيادة ابن سيما دعما لجيش أبي المغيث ومؤيديه . وربما كان ابن طولون يخطط لإبعاد خطر ابن الصوفي والعمري معا ، بخاصة ، وأن العمري قد سجل نصرا على ابن الصوفي ، وأصبح أقوى من ذي قبل ، بل أصبح خطرا كبيرا على ابن طولون ووجوده في مصر .

وكان ابن الصوفي ، بعد هزيمته من العمري ونهبه أسوان ، قد اضطرب أمره وخسر معظم قواته ، وبات غير قادر على الدخول في حرب مع ابن طولون أو العمري ، فهرب إلى جهات عيذاب ، وترك جماعته ، ثم ركب من عيذاب بحرا قاصدا مكة ، والتي لم يمكث فيها طويلاً ، إذ ألقى واليها القبض عليه ، وسلمه إلى ابن طولون ، والذي اعتقله ، وزج به في السجن لمدة قصيرة ، أعيد بعدها إلى المدينة المنورة ، وظل بها حتى لقي حتفه .[١١٠] وهكذا بقي العمري في الصعيد ، بعد هروب ابن الصوفي محاولاً تثبيت نفسه وإقامة إمارة قوية له هناك .

ويهمنا هنا أن نقول : إن موقف العمري لم يكن واضحا تمام الوضوح ، تجاه ابن طولون في تلك الأثناء ، فهل كانت حربه مع ابن الصوفي لصالح ابن طولون ، رغم ظواهر

---

(١٠٩) ابن الأثير ، *الكامل* ، ٧ : ٢٣٩ ، ٢٦٣ ، وذكره بابن أبي المغيث .

(١١٠) الكندي ، *ولاة مصر* ، ٢٤١ ؛ البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٥-٦٦ ؛ ابن الأثير ، *الكامل* ، ٧ : ٢٦٣-٢٦٤ ؛ عبد الله خورشيد البري ، *القبائل العربية في مصر* ، ٧٨ .

الأمور ؟ أم أنه حاربه لصالحه فقط ، بغض النظر عن إفادة ابن طولون ، يا ترى ؟ وللحق نقول ، فمهما كانت دوافع العمري ، فإن القضاء على ابن الصوفي جاء في صالح ابن طولون ، لأنه أراحه من ثائر شرس ، كلفه جهدا ومالا ، دونما فائدة ، ويمكن اعتباره ، عند حسن النوايا ، نقطة إيجابية في صالح العلاقات بين الاثنين ابن طولون والعمري ، ومحاولة ودية بينهما . ولكن المقريزي يروي لنا أن العمري كان مضطرا إلى أن يخوض الحرب مع والي أسوان التابع لابن طولون ، بعد ذلك ، ثم عاد بعدها إلى أرض المعدن .(١١١)

موقف العمري من العلويين

إن تصدي العمري لابن الصوفي يعتبر موقفا غير ودي من العلويين بصفة عامة ، لأن وقوفه في وجههم ، هو بكل المقاييس ، خدمة لكل القوى الرافضة ، لتسلم العلويين الحكم بشكل عام ، ولابن طولون المخطط للانفراد بحكم مصر . ولكن هل وضع العمري سياسة ثابتة ضد العلويين في جهات الصعيد ، حيث كانوا هناك يقومون بمحاولات إقامة كيان سياسي لهم ؟ أم أن موقفه من ابن الصوفي موقف عارض فقط ؟

ومن يطالع المصادر المعاصرة إلى حد ما ، يلاحظ أن العمري قد وقف موقفا فيه العداء للعلويين في الصعيد وجهات البجة ، فيروي لنا الأصفهاني (١١٢) أن كلاً من جعفر بن الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن الحسين ، والحسين بن الحسين بن سليمان بن داود بن الحسن بن علي ، قد قتلا أثناء منصرفهما من عسكر أبي عبد الرحمن العمري في أرض البجة . بينما قتل أحمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وزيد بن عيسى بن عبدالله بن أبي مسلم بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، مع أبي عبد الرحمن في حربه بالنوبة . وقد عمد العمري إلى قتل جعفر بن إسحق بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله ابن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، صبرا أيضا ، في جهات البجة ، في حين قتل العمري محمد بن علي بن إسحق بن جعفر بن القاسم بن إسحق

---

(١١١) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٦ ؛ البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٥-٦٦ .
(١١٢) الأصفهاني ، *مقاتل الطالبيين* ، ٧١٠ ، ٧١١ .

الجعفري ، أثناء حربه مع ابن الصوفي .

وبعد ، فالملاحظ أن العمري لم يكن متعاطفا مع حق العلويين في إقامة الخلافة لهم ، وأنه قابلهم بالقتل في أحيان كثيرة ، ونحن وإن كنا لا نقول باستراتيجية خاصة للعمري ، ضد العلويين ، إلا أن موقفه لم يكن وديا منهم . ربما لأنه اعتقد أنهم أقدر منه ، لو أقاموا دولة لهم في جنوب مصر وأرض المعدن ، على جذب المؤيدين لهم ، نظرا لقربهم من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإن حصل هذا فمعناه عقبة كأداء ؛ أمام طموحات العمري ، الراغب في إقامة إمارة عربية له ، في جنوب مصر ، وأرض المعدن .

نهاية العمري

بعد القتال الذي دار بين العمري وشعبة بن حركام البابكي ، في جهات أسوان ، توغل العمري شمالاً حتى أدفو ، ثم عاد إلى منطقة المعدن . وذكر لنا المقريزي أنه قاتل والي أسوان ، بعد شعبة بن حركام كما مر .[١١٣]

عاد العمري إلى أرض المعدن إلى العلاقي بعد حروبه مع النوبيين ووقوفه أمام جيش شعبة بن حركام ، وكان لايزال على ربيعة آنذاك ، في تلك الجهات ، أشهب بن ربيعة ، الذي كان يعتنق المذهب الشيعي ، وإياس بن روح ، وعلى بني قيس رجل يعرف بمحمد ابن صريح ، وعلى الجهينيين عثمان بن سعدان ، وعلى الشاميين رجل من سعد العشيرة ، وغيرهم ممن هم أقل منهم شأنا .

كان على العمري أن يتعايش مع هذا الوضع ، وقد كثرت عمارة أرض المعدن كثيرا ، وتزاحم هناك السكان ، وكثرت القوافل البرية والبحرية التي تنقل السلع اللازمة إلى تلك النواحي . ولكن العمري ، وإن كان قد ارتاح في الظاهر من ابن طولون وجيوشه ، إلا أنه لقي المتاعب من القبائل العربية السابق ذكرها ، والبجة ، فكان أن انحازت البجة إلى جانب ربيعة وصاهرتها ، وأصبحت مصلحتهم واحدة . وصادف أن خرج إبراهيم المخزومي أخو العمري من أمه ، إلى عيذاب ، ليمتار ، فاعترضه البجة ، أحلاف ربيعة ، وقتلوه هو ومن معه . الأمر الذي أثار حفيظة العمري وأغضبه ، فكتب إلى ربيعة يسألهم

---

(١١٣) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٦ .

الإنصاف من البجة ، أو الركون إلى الدعة والسكون ، في حالة صراعه معهم ، انتقاما لأخيه ، إلا أنهم لم يقبلوا منه الاقتراحين [١١٤] لأن مصلحتهم كانت مرتبطة مع البجة ، وكانوا يأملون الوصول إلى الحكم بواسطتهم ، لأن البجة يورثون ابن البنت ، أو الأخت فكان من البديهي أن لا يرضى رجال ربيعة الانضمام إلى العمري ، أو الامتناع من مساعدة البجة ، في حالة قتال العمري لهم . وهذا يعتبر بحد ذاته تحديا لوجود العمري في أرض المعدن ، بل تمردا عليه وعدوانا مالا للعيان ، عليه أن يواجه بما يليق .

تحرج موقف العمري لتمرد ربيعة ، وكان أن طلب معونة مضر فلم يجيبوه وهجروه ، وعبر بنو هلال النيل إلى الغرب ، وأقام بنو تميم شرق النيل ، واعتزلت المغاربة ، ولم يبق مع العمري ، إلا القليل الأمر الذي أضعفه إلى درجة كبيرة ، وهاضه ، وجعله وحيدا في وسط قبائل متنافرة المصالح ، متضاربة الأهداف . [١١٥] الأمر الذي اضطر العمري إلى محاربة ربيعة وأحلافها ، وحقق ضدها المكاسب وانتصر عليها في موقعتين : ميزح وكيا ، مما ألهب إحساس الشعراء ، فصاغوا الشعر الرقيق في المناسبة ، في مدح العمري . [١١٦] كما حارب البجة ودفعهم الجزية .

ثم قامت الحرب بين القبائل صاحبة الأهداف المختلفة بعد هزيمة ربيعة ، فاستغل العمري هذا الوضع ، وقتل الأشهب ، زعيم ربيعة ومدبر أمرها ، فغضبت مضر لهذا العمل ، وقام أحد رؤسائها ، المدعو محمد بن هارون ، وتآمر عليه ، فاستطاع قتله والخلاص منه غيلة مع غلامين من غلمانه ، وتفرقت جموعه ، وحملت رأسه إلى أحمد ابن طولون مع الغلامين اللذين زعما أنهما من غلمان العمري وأنهما قتلاه تقربا إلى ابن طولون ، وطلبا لرضاه ، وعطاياه . وشك ابن طولون في أن يكون الرأس ، رأس العمري ، ولم يزل شكه ، إلا شهادة العارفين لشخصه من سكان المنطقة . وبعد ذلك قام ابن طولون ، وتكلم مع الغلامين قائلاً : أكان صاحبكما مسيا (مسيئا) لكما ؟ ، أكان يمنعكما رزقكما؟ أكان يركب بحضرتكما ، وبماذا استحللتما قتله ؟ فأجابا بالنفي على كل هذه التساؤلات ،

---

(١١٤) المقريزي ، المقفى ، المكتبة السودانية ، ص ٣٦٧ ؛ كاتب الشونة ، *مخطوطة كاتب الشونة* ، ١٢٧ ؛ المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٧ ؛ Hassan, *The Arabs and the Sudan*, 55 .

(١١٥) كاتب الشونة ، *مخطوطة كاتب الشونة* ، ١٢٧ ؛ المقريزي ، *المقفى* ، ٣٦٧ .

(١١٦) المقريزي ، *المقفى* ، المكتبة السودانية ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

وعندها خاطبهم ابن طولون ، قائلاً : فلم قتلتماه ؟ فقالا : لأنا أردنا الحظوة عندك ، فرد عليهما أن ذلك أبعد لكما مني ، ومن الله عز وجل ، ثم قتلهما وصلبهما ، ثم دفن رأس العمري [١١٧] عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢ - ٨٧٣ م .

ولكن هذا العمل لايعطينا الحق كله لنقول إن ابن طولون كان يميل إلى العمري ، وأنه كان يود بقاءه في أرض العلاقي ، لأن ابن طولون كان يهمه أن يؤمن حدود ولايته في مصر ، وأن لا يرى قوة تنازعه في تلك النواحي ، وبخاصة في أرض المعدن . وهذا شأن ابن طولون والعمري .

وهكذا هوى الفارس المغامر ، الذي حاول جاهدا الدفاع عن الإسلام ، بل ونشره بين النوبيين ، والبجة في منطقة المعادن ، بالعلاقي وغيرها ، والذي ما عرف الدعة منذ وصل أرض الذهب إلى اغتياله . ويمكننا ، وبكل ثقة ، القول إنه لولا تدخل ابن طولون ، في شؤون العمري ، والوقوف منه موقف العداء ، ولولا انقسام القبائل العربية في أرض المعدن ، لتمكن العمري من إقامة إمارة عربية له في بلاد البجة ، ولعلها كانت تكون أول إمارة عربية منظمة في سودان وادي النيل . [١١٨] ولكن حسب العمري ، إنه حاول إقامة إمارة عربية له في أرض المعدن بالعلاقي ، وكان فضله في نشر الإسلام والعربية وثقافتهما واضحا هناك . [١١٩]

وبعد الخلاص من العمري ، ظل الصراع قائما بين القبائل العربية في أرض المعدن ، ودخلت ربيعة في صراع مرير مع جهينة وأحلافها في المنطقة ، واستطاعت أن تسجل النصر على جهينة وأحلافها ، بمساعدة حلفائها البجة ، وكان على ربيعة ، وقد خبرت مراحل الصراع العربي في العلاقي ، أن تعمل على طرد جهينة من المنطقة بكاملها ، مع القبائل التي ترفض وجود ربيعة والبجة ، الأمر الذي مهّد الطريق أمام ربيعة ، وساعدها على التفرد مع البجة ، وبالتالي إقامة دولة ربيعة في المنطقة ، والتي امتدت زمنا طويلا . [١٢٠]

---

(١١٧) البلوي ، *سيرة أحمد بن طولون* ، ٦٧ ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ٢ : ٣٣٩ .

(١١٨) المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ١٢٢ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٦ ، وقد مدح العمري كثيرا .

(١١٩) فضل ، *مقدمة* ، ١٣ ؛ شبيكة ، *السودان عبر القرون* ، ٣٦ .

(١٢٠) المقريزي ، *البيان والإعراب* ، ٤٤ ، وقد ذكر أن ربيعة طردت أتباعها من بني يونس القاطنين في عيذاب ؛ المقريزي ، *الخطط* ، ٢ : ٢٧٧ ، ٢٣٩ ، MacMichael , *A History of the Arabs*, 1:149 .

An Attempt to Establish an Arab Emirate in Sudan in the Third Hijra Century

Sadiq Ahmad D. Joudeh

Associate Professor, Department of Social Sciences, Faculty of Arts and Sciences, Amman National University, Amman, Jordan

Abstract . This study investigates the efforts of an ambitious and adventurous Islamic character who lived in the third Hijra century (9th century): namely, Abu 'Abd Al-Rahman Al-'Umari. He left Egypt during the reign of Ahmad Ibn Tulun, heading towards Wadi Al-'Alaqi, the country of Al-Beja, known for its gold, a wealth that prior to Islam attracted some Arab tribes: Rabi'a, Juheina and Mudhar. Motivated by a desire to escape the political unrest in Egypt and other places of the Caliphal state, by the disorder and weakness of the state, and by the attraction of gold, Abu 'Abd Al-Rahman led his followers from Egypt to Wadi Al-'Alaqi where he met resistance from the Beja tribes as well as from others. He was forced to fight the neighboring Nubians, gaining victories at first, but in the end he was defeated mainly beacause his followers failed him. Retreating to the area of Aswan with his remaining followers, he was also defeated by Shu'ba Ibn Herkam at the head of Ibn Tulun's army. He then went back to Wadi Al-'Alaqi where he not only met fierce resistance from the Arab tribes, but lost his life at the hands of the leader of the Mudhar tribes in A.H. 259/863.